الإمام علي

عليه السلام

قرين القرآن

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الإمام علي عليه السلام

قرين القرآن

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - سلام الله عليه - هو بحق يمثل أعظم رجل عرفه التاريخ بعد رسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله - إيمانًا وتقوى وشجاعة وعدلًا وعلمًا وحلمًا وتواضعًا وحكمة ورحمة وتضحية وحرصًا على رسالة الله. هذه المؤهلات الفريدة جعلته بحق وجدارة أفضل خريجي مدرسة النبوة، عايش آلامها وآمالها، وضحى من أجلها فصار ممن ينظر إلى عظمة الإسلام من خلال شخصيته العلمية والعملية وخير من يجسد سيرة النبي - صلوات الله عليه وعلى آله - تجسيدًا في الوعي والمنطق والسلوك.

واستجابة للدعوة التي وجهها السيد حسين - رضوان الله عليه - في (ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام) عندما قال:

" ونحن شيعة علي يجب أن نرجع إلى دراسة تاريخ علي، إلى دراسة سيرة علي -صلوات الله عليه - ؛ لنعرف كيف نقتدي به؟ كيف نسير على خطاه؟ كيف نتمسك بنهجه؟ كيف نسلك السبيل الذي سلكه؟ كيف ننظر إلى الأمور كنظرته؛ لأنه بالتأكيد قرين القرآن."

فقد قمت بهذه المحاولة المتواضعة فجمعت ما استطعت من حياة الإمام علي - عليه السلام - التي هي بحق مدرسة متكاملة في كل مجالات الحياة، ولا غرابة فهو - سلام الله عليه - قرين القرآن، وإذا كان القرآن بحرًا لا يُدْرَكُ قعرُه فإنَّ الإمام عليًا - عليه السلام - كان القرآن الناطق، وقد كان اعتمادنا بشكل أساسي في تقديم جوانب من شخصية الإمام - سلام الله عليه - على ما تناوله السيد حسين بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه - في محاضراته ودروسه، وكذلك ما ورد عن السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في محاضراته عن هذا الرجل العظيم. وقد

جعلت الحديث عنه في جزأين، وهذا الكتاب هو الجزء الأول، يليه - إن شاء الله - الجزء الثاني قريبًا.

راجيًا من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل بأحسن القبول.

والله الموفق

يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

الجمعة – ١٤رمضان ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤/٧/١١م

الطبعة الثانية: ١ رمضان ١٤٣٨هـ

❊❊❊

الـــولادة والنشـــأة

من الكعبة أبصر النور

ولد الإمام علي - عليه السلام - بمكة المكرمة، في بيت الله الحرام، يوم الجمعة ١٣ ليلة خلت من شهر رجب لثلاثين سنة خلت من عام الفيل وهو اليوم السابع من أيلول، كما رواه السيد أبو طالب[١].

أبوه أبو طالب سيد قريش وزعيمها تقلد الزعامة بعد أبيه عبد المطلب بن هاشم الذي أوصى أبا طالب برعاية حفيده محمد - صلوات الله عليه وعلى آله - فقد كان عبد المطلب يعرف جيدًا ما يضمره أبو طالب من حب وحنان وعطف على حفيده محمد. ولقد كان كما توسم فيه أبوه عبد المطلب حيث كان أبو طالب الحامي والناصر والمدافع عن رسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله - ودعوته حتى فارق الحياة.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهو أول هاشمي ولد من هاشميين، ولم يولد في بيت الله الحرام قبله أحد ولا بعده، شرف اختصه الله به وهو وحده وليد البيت المعمور.

الإعداد النبوي

ليست الصدف هي التي لعبت دورها في مجال نشأة الإمام علي - عليه السلام - وتأهيله، ولا الحظ هو الذي خط طريق كمالات هذا الإنسان، بل تلمس أن هناك يدًا خفية هي يد الله وعنايته بهذا الإنسان الذي سوف يكون الامتداد الطبيعي للسنة الإلهية في الهداية حينما تكمل مسيرة الرسالة المحمدية في الدنيا وتنقضي أيامها ويرحل مبلغها إلى الرفيق الأعلى.

ولأن هذا الإنسان يحتاج إلى إعداد خاص فقد تم تأهيله في مدرسة خاصة

(١) ذكر ذلك السيد العلامة مجد الدين المؤيدي - رحمة الله عليه - في (لوامع الأنوار).

على يد أمهر الأساتذة وأكملهم فكان الإسلام مدرسة علي وكان رسول الله محمد - صلوات الله عليه وعلى آله - مُعَلِّمَهُ ومربيه، فتح عينيه للنور، رأى نور رسول الله محمد، ومنذ عرف الكمال عرفه في رسول الله محمد وتعاليمه السامية.

لقد كتب الله لهذا الطفل أن ينتقل إلى بيت رسول الله محمد وهو لا يزال في الرابعة من عمره وآخاه النبي - صلوات الله عليه وعلى آله - وقام بتربيته وإعداده لمستقبل الأيام.[1]

هكذا أراد الله أن ينضمَّ علي إلى أسرة رسول الله؛ فيكون تحت رعايته، ويعيش في حجره، يتنسم عطر النبوة، ويشم عَرْف الرسالة، ويتبعه في كل أفعاله وأعماله وخصائصه ومميزاته، حتى أضحى ظل النبي الذي لا يفارقه، وربيبه الذي لا ينفك عنه. ورثه في جميع خصاله النفسية والدينية وهذا ما أفصح عنه علي - عليه السلام - نفسه في بعض كلماته حيث قال:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ؛ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[2]، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً[3] فِي فِعْلٍ.

وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بِهِ - صلى الله عليه وآله - مِنْ لَدُنْ (أَنْ) كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ

---

(١) (قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد بن جَبْر أبي الحجاج قال: وكان من نعمة الله على علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، ومما صنع الله له، وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أَزْمَةٌ شديدة، وكان أبو طالب مُعْسِرًا؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم: (يَا عَبَّاسُ قَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الأَزْمَةِ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ)؛ فقال العباس: نعم، فانطلقا فقالا له: إِنَّا نريد أَنْ نُخَفِّفَ عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إذا تركتما لي عَقِيلًا فاصنعا ما شئتما، فأخذ العباس جعفرًا، وأخذ رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليًّا فضمَّه إليه، فلم يَزَلْ عَلِيٌّ مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى بعثه الله تبارك وتعالى نَبِيًّا، فاتَّبَعَهُ علي - عليه السلام - وآمن به وصدّقه، ولم يفارق عليٌّ رسول الله حتى أنزله القبر، وكان آخرَ الناسِ عَهْدًا به) من سيرة الدكتور المحطوري.

(٢) عَرْفه - بالفتح -: رائحته الذكيّة.

(٣) الخَطْلَة: واحدة الخَطَل - كالفرحة واحدة الفرح - والخطل: الخطأ ينشأ عن عدم الرويّة.

وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ[1] أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَمًا[2] مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ[3]، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ - صلى الله عليه وآله - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هذه الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»[4].

ويقول - عليه السلام - معبرًا عن مكانته من رسول الله - صلوات الله عليه وآله -: «وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ»[5].

علي أول من أسلم

الإمام علي - عليه السلام - في مساره الإيماني كان متميزًا منذ بدايته فهو كان السابق إلى الله سبحانه وتعالى في الإيمان قبل غيره من أبناء الأمة أول المؤمنين إيمانًا وإسلامًا[6] بعث رسول الله - صلوات الله عليه وآله - يوم الاثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في حديث عشر فضائل لعلي - عليه السلام - قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة.[7]

---

(١) الفَصيل: ولد الناقة.
(٢) عَلَمًا: أي فضلًا ظاهرًا.
(٣) حِراء بكسر الحاء: جبل على القرب من مكة.
(٤) نهج البلاغة، ج ١ ص ٣٠١.
(٥) النهج، ج٢ص ٤٠٨.
(٦) السيوطي في اللآلئ المصنوعة. وأبو نعيم في الحلية ج١ص٦٥، وترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر ج١ص١٣٢، والطبراني في الكبير. وللمزيد الرجوع إلى كتاب (الغارة السريعة ص٩٩).
(٧) وذكر السيد العالم بدر الدين الحوثي - رحمة الله عليه - في كتابه (إرشاد الطالب) حديث ابن عباس بأن عليًّا - عليه السلام - أول من أسلم من الرجال، وقال في حاشية الكتاب: أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ١/ ٣٣١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

وقـد عبـر الإمام عن ذلك. كما سبق. بقوله: «**وَلَـمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللّٰهِ ‹صلى الله عليه وآله› وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا**».

ومما تميز به الإمام علي - عليه السلام - وتفرّد به أنه لم يسبق إيمانه أي شرك ولا انحـراف فـي عبادة غير الله سبحانه وتعالـى؛ ولذلك مما يقال عن الإمام علي - عليـه السـلام - تكريمًـا وتشريفًا واعترافًا بذلك أن الناس يقولون - كرم الله وجهه - ؛ لأنـه لـم يسجد للأصنام، البعض على مدى أربعين عامًا كان يعبد الأصنام وكان منغمسًـا فـي أحـوال الجاهلية بـكل رذائلهـا وكل مفاسدها، لكـن الإمام عليًـا - عليه السـلام - كان واقعـه مختلفًـا تمامًا، كان واقعه متميـزًا بسابقته فـي الإيمان، إيمان سبقه الطهر والاستقامة والبعد عن دنس العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

وأنذر عشيرتك الأقربين

تلاحقـت الأحـداث بعـد أن أعلن رسول الله - صلـوات الله عليه وآله - عن الدعوة إلـى الإسـلام، وانتشر خبرها، وتحدّث الناس بها، وتهيّأ الجو النفسي والفكري العام لتبليغها بصورة عامّة، ومخاطبة الناس بها، فأمر الله نبيّه - صلوات الله عليه وعلى آلـه - أن يخاطب عشيرته، ويدعوهم إلـى الإسلام؛ ليكوّن له قاعدة شعبية، وحماية اجتماعية، وليُلقي الحجّة عليهم بالّتي هي أحسن، فأنزل الله تعالى الآية المباركة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] والّتي افتتحت بداية مرحلة جديدة من التحوّل في حياة الدعوة إلى الإسلام .

لقـد أصبحـت قريش هدفًا لدعوة الإسلام، ومساحـة للتحرّك وتوجيه الضـربات للشـرك والكفر والظلم والطغيان. فاختار النبيّ - صلوات الله عليه وعلى آله - أُسلوبًا اجتماعيًـا وجوًّا عاطفيًا ونفسيًـا مؤثّرًا، ودعا بني هاشم وهم سادة قريش، فاجتمعوا فـي دار الحـارث بن عبد المطلب بـن هاشم وهو من وجوههم وزعمائهم، وكان فيهم

وقال الدكتور المحطوري في كتاب السيرة: قال ابن إسحاق: ثم كان أَوَّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله - صلـى الله عليـه وآله وسلـم -، وصَلَّى معه وصَدَّقَ بِمَا جاءه مـن اللهِ تعالى عَلِيُّ بنُ أبي طالب بـن عبد المطلـب بن هاشم - رضوان الله وسلامه عليه -، وهـو يومئذ ابن عشر سنين، روى عفيف الكنـدي - وكان تاجـرًا - أنه جاء إلـى مكة فشاهد رجلًا وغلامًـا وامرأةً يُصَلُّونَ، فَسَـأَلَ العباسَ؛ فأخبره بأَنَّ الرَّجُلَ مُحَمَّدٌ، وَالغُلَامَ عليٌّ، وَالمرأَةَ خديجةُ، وقال: هذا دِينٌ جاء به ابن أخي، وما على وجه الأرض على هذا الدين غيرُ هؤلاءِ الثلاثة.

أبو لهب وأبو طالب، وهما من أعمام النبيّ - صلوات الله عليه وعلى آله -، وأمر عليّ بن أبي طالب أن يصنع طعامًا[1] للحاضرين ففعل.

لقد اجتمع الحاضرون، وتناولوا الطعام، عشرة بعد عشرة ثمّ انعقد الاجتماع وتحدّث رسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله - وشرح لهم مبادئ الإسلام، وأهداف الدعوة، وما أمره الله به من إنذارهم، وتكريمهم إن استجابوا وأسلموا، إلا أن أبا لهب عمه تصدّى له، وواجه بقسوة ورفض شديدين، وقام محرِّضًا بني هاشم عليه - صلوات الله عليه وعلى آله -، وداعيًا إلى تطويقه والأخذ على يده قائلًا: «**خذوا على يَدَي صاحبكم قبل أن يأخذ على يدهِ غيرُكم، فإنْ منعتموه قتلتم، وإن تركتموه ذللتم**»[2].

ولم ينته خطاب أبي لهب التحريضي الاستفزازي حتى تصدى له أبو طالب الّذي ما برح يسند رسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله -، ويدافع عن دعوته، وهاجمه هجومًا عنيفًا، معلنًا وقوفه إلى جانب رسول الله محمّد - صلوات الله عليه وعلى آله - وداعيًا إلى نصرته وتأييده بقوله: «**يا عورة: والله لَنَنْصُرَنّه، ثمّ لَنُعينَنّه**».

بعد ذلك وجّه خطابه إلى رسول الله محمّد - صلوات الله عليه وعلى آله - وبنو هاشم تنصت للخطاب قائلا: «**يا بن أخي: إذا أردت أن تدعو إلى ربِّك فأعلمنا حتّى نخرج معك بالسلاح**»[3].

تطوّر الموقف، ودخل الصِّراعَ بهذا الاجتماع عنصر جديد، وكسبت الدعوة إلى الإسلام هذا الحدث الإعلامي الخطير، والموقف المؤيّد من أبي طالب والتهديد باستخدام السلاح لنصرتها.

ولم تنته مكاسبُ هذا الاجتماع التأريخي الخطير في حياة الدعوة بهذا وحسب بل وخرج الاجتماع بمكاسب أُخرى وتحوّل كبير، (ويومئذ أسلم جعفر بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وأسلم خلق عظيم، وظهر أمرهم وكثرت عدّتهم، وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين)[4].

---

(١) اليعقوبي في تاريخه، ج٢، ص٢٧.
(٢) اليعقوبي ج٢ ص ٢٧.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

وفي هذا الاجتماع وقف الرّسول - صلوات الله عليه وعلى آله - بعد أن دعاهم إلى نصرته فقال: «**فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم؟**»، فلم يجب أحد منهم، فقام عليّ - عليه السلام - فقال: «**أنا يا رسول الله أُؤازرك على هذا الأمر**»، فقال: «**اجلس**». فأعاد الرّسول - صلوات الله عليه وعلى آله - القول ثانية، وصمت القوم وأجابه عليّ ثانية. ثمّ أعاد - صلوات الله عليه وعلى آله - القول ثالثة، فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقام عليّ فقال: «**أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر**»، فقال: «**اجلس، فأنت أخي ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي**»[1].

❊❊❊

(١) مسند أحمد، ص ١١١و ١٩٥. وخصائص النّسائي، ج ٨٣، ص ٦٦. وتفسير الطبري، ج ١٩، ص ٧٤. وشواهد التنزيل للحسكاني، ج١، ص ٣٧١ و ٥١٤. ومجمع الزوائد، ج٩، ص ١١٣. وعلل الشرائع، ج١، ص ١٦٩.

بعض مميزات الإمام علي (عليه السلام)

علي يتربى في مدرسة الرسول

حظي الإمام علي - عليه السلام - بتربية رسول الله - صلوات الله عليه وآله - منذ طفولته فرباه الرسول أكرم وأحسن تربية، وعلمه مكارم الأخلاق، وهو مهيأ بفطرته وبما أعطاه الله من المؤهلات ليكون نعم المتلقي ونعم المتربي، واستمر الرسول - صلوات الله عليه وآله - في تربيته والاهتمام به والعناية به في مرحلة الطفولة، وفيما تبقى من تاريخ الإسلام من مرحلة حياته مع رسول الله حتى وفاة رسول الله على ارتباط وثيق وخصوصية لا مثيل لها فيما يتعلق بالآخرين، فكان أخص الناس برسول الله ملازمة وعناية وتربية وإعدادًا وتعليمًا، وكانت كل جهود رسول الله - صلوات الله عليه وآله - في تربية تلميذه هذا الرجل العظيم وفي إعداده وفي بنائه تتجلى وتتضح في الواقع العملي فتبرز في علي - عليه السلام - مكارم الأخلاق والصفات العظيمة الإيمانية ويتبين له في الواقع العملي الدور المميز في كل مجالات الإيمان، إن أتينا إلى الجهاد في سبيل الله فهو كان رجل التحديات والمواقف الصعبة والرجل الفدائي في الإسلام والثابت حين ينهزم الآخرون والصامد أمام الزلازل والأهوال والأحداث الجسام كانت تتجلى فيه تربية الرسول وأثر تربية الرسول - صلوات الله عليه وآله - بوضوح لم تذهب جهود النبي سدى في اهتمامه به وتربيته له فقدم الشهادة على عظمة الإسلام وعظمة القرآن وعظمة النبي - صلوات الله عليه وآله - فيما تجلى في واقعه في أخلاقه في مواقفه في حكمته في علمه قدم الشهادة على عظمة الإسلام والقرآن وعظمة الرسول - صلوات الله عليه وآله - في مقام الإحسان كان رجل الإحسان والرحمة والعطف، كما كان في مقامات التصدي للمجرمين والكافرين رجل البأس والشجاعة والإقدام والثبات الذي لا يماثل لدى غيره من المؤمنين، كان أيضًا في مقام الرحمة والرأفة العطوف الحنون الرحيم الذي يؤثر على نفسه ويقدم طعامه حين لا يكون له حتى غيره للمسكين واليتيم والأسير وكان هو في كل مسارات الإيمان ومقامات الإيمان الرجل

الصادق مع الله سبحانه وتعالى، الرجل الوفي مع مبادئه ودينه الذي لم يتغير ولم يتبدل ولم يساوم في دينه، وحين آل إليه أمر الأمة أرسى دعائم الدولة الإسلامية على أسس من العدل، وواجه مشاكل كبيرة؛ لأنه أراد إقامة الدولة الإسلامية على دعائم من العدل الخالصة وواجه مشاكل كبيرة ومعاناة كبيرة، فثبت ولم يساوم لأنه لم يكن همه فقط السلطة والوصول إلى المنصب فلم تساوِ نعله إلا أن يقيم حقًّا أو يبطل باطلا كما قال هو - عليه السلام -[1].

كان تلميذاً متميزًا

الإمام عليٌ ‹عليه السلام› منذ بداية مشواره مع الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله وسلم› وبحكم ملازمته للنبي وارتباطه الوثيق بالنبي وتميزه ووعيه العالي، كان سابقًا إلى الإسلام ليحوز فضيلة السبق ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[الواقعة:١٠-١٢] سبق إلى الإسلام منذ انبثاق نوره ومن دون أي تردد أو تأخر أو تلكؤ دخل في الإسلام ودخل الإسلام فيه فكان كل قلبه وكل روحه وكل حياته لقد ذاب في الإسلام وامتزج به فكان خلقه الإسلام وكانت قضيته الإسلام،وكانت حياته للإسلام وكان الفدائي الأول في الإسلام.

ولذلك في واقعه في الإسلام في مسارات الإسلام المتعددة والمتنوعة على مستوى الجهاد والأخلاق والروحية والعلاقة بالله سبحانه وتعالى كان الإمام علي ‹عليه السلام› متميزًا ففي مسيرته الجهادية وعطائه في سبيل الله لإقامة الإسلام والإسلام يواجه التحديات والمخاطر الكبرى والمؤامرات ويبدأ غريبًا في وسط مشرك وكافر لا يقبل به يتحرك لمواجهته يعمل على طمسه يسعى إلى القضاء عليه يحاربه بكل الوسائل والأساليب برز الإمام علي ‹عليه السلام› ذلك الجندي المسلم البطل المتميز المتفاني في سبيل الله سبحانه وتعالى وبمواقف متميزة ذكرها التاريخ وسجلها التاريخ[2].

(١) من محاضرة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في ذكرى استشهاد الإمام علي - عليه السلام - لعام ١٤٣٤هـ.

(٢) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.

الإسهام الكبير للإمام علي في إقامة الدين

عندما نعود إلى المراحل الأولى التي مر بها الإسلام نجد الإسهام الكبير للإمام علي - عليه السلام - في إقامة الدين بجهاده العظيم وبما جسده من أخلاق وقيم، بدوره المهم جدًا في كل المراحل التي تمثّل تحديات استثنائية، وعندما يعود الإنسان ليقرأ التاريخ يرى ما عمل علي، وما وُفِّقَ إليه علي وما بلغه علي من مقام إيماني عظيم، رصيد عظيم مع الإمام علي - عليه السلام - وهكذا واكب الإسلام في كل مراحله منذ يومه الأول مجاهدًا مناصرًا مبلغًا، ناهضًا بالمهام الاستثنائية، قائمًا بدور فريد متميز حتى عبر الإسلام كل مراحل الخطر، وتجاوز الإسلام كل التحديات، وألقى بجِرَانه وثقله في شبه الجزيرة العربية، وأظهره الله على الدين كله، وأصبحت رايته هي أعلى الرايات وكلمته هي العليا. وأصبح الرسول - صلوات الله عليه وعلى آله - قريبًا من الرحيل والعروج إلى رحمة الله سبحانه وتعالى وقد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فكان يلفت نظر الأمة إلى عليٍّ - عليه السلام - في أن تلتف حول هذا الرجل، أن تقتدي به، أن تهتدي به، أن تتبعه، يجعل منه علَمًا هاديًا عند الفتن عندما تمر الأمة بالفتن والأخطار، يقرنه بالقرآن، يؤكد على أنه قرين للقرآن، وبمثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «**علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.**»[1]

أبو ثابت يدخل على أم سلمة

دخل رجل من المؤمنين اسمه أبو ثابت، دخل إلى أم سلمة زوج النبي - صلوات الله علي وعلى آله - وكانت من خيار نساء النبي، فقالت له يا أبا ثابت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ أين اتجهت أنت مع من؟ إلى أين؟ فقال لها: تبع علي بن أبي طالب، قالت: وفقت، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «**علي مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**». [2]

---

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٤٣٥هـ.
(٢) المصدر السابق.

عمار يستأذن على الرسول

ذات مرة استأذن عمار بن ياسر على الرسول - صلوات الله عليه وعلى آله - وكان الرسول في بيت أبي أيوب الأنصاري، فكان أنس هو الذي على الباب، فقال أنس بن مالك حينما سأله الرسول عن الطارق على الباب قال عمار، قال: افتحوا لعمار الطيب المطيَّب، فدخل عمار فتحدث معه الرسول بحديث واسع كان من ضمنه أن قال له: «**فإن سلك الناس واديًا وعلي واديًا، فاسلكْ وادي علي وخلِّ عن الناس، يا عمار إن عليًا لا يردك عن هدى، ولا يدلك على ردى، يا عمار طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله عز وجل**». وهكذا نجد في توصيات الرسول المتكررة والكثيرة التي لفت بها نظر الأمة إلى هذا الرجل العظيم كعلمٍ للحق، وقرينٍ للقرآن، وكهادٍ للأمة تهتدي به." [1]

الإمام علي كان هو التلميذ الأكثر استيعاباً

الإمام علي. عليه السلام - في كلا المرحلتين، في المرحلة الأولى التي هي مرحلة نشوء الإسلام، وبداية حركة الإسلام، في حركة النبي صلوات الله عليه وعلى آله، وفيما بعد، بما في ذلك تلك المرحلة الحساسة من تاريخ الأمة كان شخصية متميزة لها مقامها ومستواها العظيم، كان هو التلميذ الأكثر استيعاباً، والأكثر والأعظم تأثراً بتربية النبي صلوات الله عليه وعلى آله منذ البداية، كان له من الاختصاص بالرسول صلوات الله عليه وعلى آله ما لم يكن لغيره من أصحاب النبي، ومن سائر المؤمنين، وكان هو لديه القابلية العالية جداً في كل الاتجاهات بأن يكون هو التلميذ النموذج بين كل تلاميذ النبي المؤمن الأرقى في إيمانه، استنارة، ووعياً، وأخلاقاً، وعملاً وتميُّزاً بشكل عام.

هذا ما شهد به له النبي صلوات الله عليه وعلى آله، وعبَّر عنه في أكثر من مقام، في أكثر من مقام، وأيضاً ما أثبته الواقع، ما أثبته تاريخ علي، مواقف علي، سيرة علي، أخلاق علي، قِيَمُ علي عليه السلام، فلذلك كان بكل جدارة هو النموذج التطبيقي للفرد المؤمن على أرقى مستوى، النموذج الأرقى النموذج الأكمل، إذا

(١) المرجع السابق.

أردت أن ترى أكمل إنسان مسلم من تلاميذ النبي صلوات الله عليه وعلى آله، أعظم من تأثَّر بالنبي، وتأثَّر بتربية النبي، واقتبس من النبي صلوات الله عليه وعلى آله، وتأسَّى به، وانطبع بطابعه الإيماني والتربوي والأخلاقي، وتأثر بالقرآن الكريم.

إذا أردت أن تعرف معالم الإسلام في مبادئه، وأثره في تربيته، وأردت أن ترى أخلاق الإسلام، ومشروع الإسلام، مُتجسداً حركة واقعية في الحياة، فأعظم من يقدم لك ذلك، وأكمل من يقدم لك ذلك من تلاميذ النبي صلوات الله عليه وعلى آله، ممن رباهم النبي، من أتباع هذا الإسلام هو الإمام علي عليه السلام، فكان في كل الاتجاهات، في تعبيد نفسه لله سبحانه وتعالى، في جهاده، في كل أخلاقه، في كل أبعاد شخصيته، كان يمثل الإسلام على أرقى مستوى، ولهذا فإن الأمة أحوج ما تكون إلى أن تقرأ سيرة علي، وأن تستفيد منه فيما تحتاج إليه؛ لترى النموذج التطبيقي الموثوق به؛ لأن الكثير والكثير ممن يحسبون أنفسهم على الإسلام، فيما يقدمونه من سلوك، فيما هم عليه من أعمال، فيما هم فيه من مواقف، فيما هم عليه من توجهات، يقدمون أنفسهم على الإسلام، يقدمون أنفسهم محسوبين كمعبرين عن الإسلام، لكن ذلك النموذج التطبيقي الموثوق الأكمل والأرقى والأعظم هو الإمام علي عليه السلام.

فنجد في جانب واحد من مواقع الإيمان والمسؤولية من مسارات الإيمان والتقوى، وهو مدى تأثير الإمام علي عليه السلام في نصرة الرسول، والوقوف إلى جانب الرسول، ومساعدة الرسول صلوات الله عليه وعلى آله، في مواجهة التحديات والأخطار، في مسيرة الجهاد في سبيل الله تعالى، نجد أن موقع الإمام علي عليه السلام هو الموقع الذي لا يساويه فيه غيره أبداً.

القرآن الكريم يبين مستوى مقام الإمام علي (عليه السلام)

ما من أحد على الإطلاق كان له في نصرة النبي صلوات الله عليه وعلى آله، وفي الجهاد في سبيل الله، والاستبسال في سبيل الله، والتفاني لإعلاء كلمة الله، والدور الرئيسي والكبير، والمميز، والبارز، في نصرة الحق، وفي مواجهة التحديات والأخطار ضد الإسلام، وأمة الإسلام، ونبي الإسلام، مثلما كان الإمام علي عليه السلام، التاريخ شاهد، وهذا من أشهر ما عُرف به الإمام علي عليه السلام، وكل وقائع الإسلام الكبرى، منذ معركة بدر، وكذلك سائر وقائع الإسلام الكبرى إلى

نهايتها، الدور البارز والمتميز والرئيسي للإمام علي عليه السلام.

لكن حينما نأتي إلى التعبير القرآني، إلى النص القرآني، فلربما هو - وبالتأكيد - هو الأقدر على أن يقرب إلى أذهاننا، ويقرب إلى مفاهيمنا واستيعابنا الموقع العظيم للإمام علي عليه السلام في نصرة النبي، ونصرة الإسلام، ونصرة الحق، هناك نص قرآني يعبر عن هذا بأرقى تعبير، ويقدمه بأرقى تقديم، ثم هو أيضاً يقدم للإمام علي عليه السلام وصفاً عظيماً ومتميزاً، قال الله سبحانه وتعالى - وهو يحكي عن النبي صلوات الله عليه وعلى آله -: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ المقام كان مقاماً يخاطب بعض نساء النبي صلوات الله عليه وعلى آله، ولكن المقام اتجه إلى موضوع عام، اتجه إلى موضوع عام، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤] أنا شخصياً لم أقرأ فيما قرأت، ولم أسمع فيما سمعت، ما يعبر عن مستوى الدور، والمقام الذي كان فيه علي عليه السلام، في نصرة النبي، وإلى جانب النبي، مثلما هذا النص القرآني، هذا النص عظيم، عظيم من يتأمله، يندهش، ويتأثر، وينبهر، لمستوى هذا الدور المتميز للإمام علي عليه السلام.

النبي صلوات الله عليه وعلى آله تحرك بحركة الرسالة، بإبلاغ الرسالة، بإقامة دين الله سبحانه وتعالى، ولكن واجه الكثير والكثير من التحديات، التحديات المتمثلة بخطر الكافرين، والمشركين، والمنافقين، كل فئات الكفر التي تكالبت، وبذلت جهداً كبيراً، واستخدمت كل الوسائل لإطفاء نور الله، وفي وأد هذا المشروع الإلهي، وفي القضاء على الرسالة.

هذه التحديات الكبيرة التي كانت في كل الدنيا، أتى النبي صلوات الله عليه وعلى آله في واقع غريب، الدنيا مليئة بالظلمات، وقوى الشر، بل ما تمتلكه من قدرات، وبكل ما هي عليه من طغيان وشراسة وجبروت وجاهلية، تحركت بكل قواها، وبكل ما تستطيع لتستهدف نبي الإسلام، وحركة رسالته، ولكن كان إلى جانبه مَنْ؟ الله سبحانه وتعالى، الله ناصراً، الله مؤيداً، الله معيناً، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة:٣٣] الله سبحانه وتعالى هو مولاه، ناصره، معينه، مؤيده، فالله سبحانه وتعالى كان هو الناصر العظيم، والولي لهذا النبي صلوات الله عليه وعلى آله، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾[النساء:٤٥]، في إمداد الله، وتأييده لهذا النبي، جعل هناك المدد لهذا النبي، كان من ضمن

هذا المدد: جبريل، جبريل كان أيضاً إلى جانب الرسول صلوات الله عليه وعلى آله، وبالتأكيد لقد كان الدور الذي يؤكده القرآن لجبريل أكثر من مستوى إيصال الرسالة الإلهية إلى النبي، أكثر من ذلك، كان له دور أوسع من ذلك.

ويأتي بعد هذا الدور، بعد دور جبريل عليه السلام إلى جانب النبي صلوات الله عليه وعلى آله في الميدان، في الحركة الميدانية، في مواجهة التحديات والأخطار موقع مهم: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي دور عظيم، قبل أي دور لأحد في أوساط المؤمنين، لم يقل مثلاً: والمؤمنون وصالح المؤمنين، لم يقل: والمؤمنون وجبريل، لا.. قبل كل المؤمنين، هناك من بين هؤلاء المؤمنين دور هو الأكثر تميزاً، الأكثر فاعليةً، الأكثر تأثيراً، الأرقى والأعلى مكاناً، ومقاماً عند الله سبحانه وتعالى ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

من هو صالح المؤمنين؟ الروايات نقلت، والواقع أكد: أنه الإمام علي عليه السلام، الإمام علي هو صالح المؤمنين، له هذه السِّمَة، له هذا المسمى، هذا الوصف العظيم، الذي يقدمه من بين المؤمنين، أنه أرقاهم إيماناً، أعلاهم منزلةً، أفضلهم عند الله سبحانه وتعالى، وأعلاهم في الواقع الفعلي الحركي في نصرة الإسلام، ونصرة نبي الإسلام، صلوات الله عليه وعلى آله، فكان هو الجندي المخلص للرسول صلوات الله عليه وعلى آله، الجندي الأكثر فاعلية وتأثيراً في التصدي لكل أولئك الأعداء، ولكل تلك المخاطر، وفي مواجهة كل تلك التحديات، ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ هنا أتى موقع الإمام علي عليه السلام، وبهذا التعبير القرآني العظيم والراقي، ما بين جبريل وما بين الملائكة.

ونرى أن الله سبحانه وتعالى هو العظيم، هو الرحيم، هو الكريم، هو الذي يعلم بعباده، يعلم بجهودهم، يقدر لهم جهودهم، يشكر لهم سعيهم، يعطيهم مقامهم وجزاء أعمالهم، فهو الذي أعطى لعلي عليه السلام هذا المقام، وهذا المستوى العالي باعتبار الإمام علي عليه السلام يمثل الامتداد الحقيقي للإسلام، والإيمان الحقيقي في مواجهة النفاق، جُعل علامة فارقة يتميز من خلال حبه وبغضه المؤمن من المنافق[1].

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٧هـ.

تميزه في جهاده

حياة علي أمير المؤمنين كلها جهاد في سبيل الله تعالى في مرحلة الدعوة وبعد قيام الدولة الإسلامية وإذا كان قد وقى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بنفسه وفداه وتعرض لأخطر تآمر جاهلي على حياة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عند مبيته على فراشه في ليلة الهجرة المباركة من أجل أن يصرف عنه شر عتاة الجاهلية فإن عليًا قد تحولت حياته بعد الهجرة إلى المدينة المنورة إلى حلقات متسلسلة من ذلك النوع الجهادي العظيم فقد كان حامل لواء الزحف الإسلامي في كل غزوات أخيه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وطليعة المجاهدين في ساحات الجهاد.

وكانت كل مواقفه الجهادية من النوع المصيري الذي يحمي الرسالة ويكشف عنها خطر التصفية المحقق والقضاء الخطير على وجودها وسنورد بعض تلك المواقف العظيمة[1].

أول فدائي في الإسلام

من مواقف الإمام علي (عليه السلام) الشهيرة والمتميزة والمبكرة في صدر الإسلام مبيته في فراش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة الهجرة في حادثة تستدعي أن يكون من يقوم بتلك المهمة حاضرًا لبذل حياته وتقديم حياته في سبيل الله فتحرك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للهجرة لا بد أن يكون له غطاء حتى لا ينتبه المشركون لحركة الرسول وخروجه من بيته فكان أن أوكل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه المهمة الفدائية الاستشهادية إلى الإمام علي (عليه السلام) الذي كان على استعداد تام وبدون أي تردد لبذل روحه لبذل حياته في سبيل الحفاظ على حياة الرسول من أجل الله ومن أجل الإسلام ومن أجل نبي الإسلام وكان أن قال للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): «**أَوَ تَسْلَمُ يا رسول الله؟**» فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «**نعم**»، قال: فاذهب راشدًا مهديًا، وبقي على فراشه ونزلت الآية القرآنية المباركة التي كان أول مصاديقها

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) لعام ١٤٣٤هـ.

هو الإمام علي ‹عليه السلام› ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْـــرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَـادِ﴾ [البقرة:٢٠٧] فكان علي ‹عليه السلام› هو النموذج الأول والمصداق الأول لهذه الآية المباركة وهذا يدلل على حقيقة الإيمان وسمو أخلاق الإسلام عندما يكون الإنسان بهذا المستوى من الحضور للبذل والعطاء والتضحية لا حدود لعطائه لا حدود لمواقفه يستعد أن يجود بنفسه أن يبذل نفسه أن يعرض نفسه لأي خطر مهما كان، فكان هذا من بداية المواقف التي سجلها التاريخ لهذا الجندي العظيم بطل الإسلام ورجله، ورجل المسؤولية ورجل المواقف الكبيرة والمهمات الصعبة[١].

معركة بدر

أما في بدر وهي الملحمة الكبرى الأولى للمسلمين والإسلام في مواجهة قوى الطاغوت والشرك الاستبدادية الظالمة الطاغوتية فكان موقف الإمام علي ‹عليه السلام› في تلك الملحمة الكبرى والأولى في تاريخ الإسلام والتي أسست لمرحلة جديدة أخرجت المسلمين من واقع الاستضعاف والقهر والتعذيب إلى موقع القوة وإلى موقع الحضور الثابت الراسخ، كان الإمام علي ‹عليه السلام› متميزًا بمواقفه التي سجلها التاريخ لدرجة أن الحد الأدنى فيما تنقله الروايات لقتل الأعداء في غزوة بدر الكبرى الذين قتلهم علي ‹عليه السلام› بنفسه كان يعادل ثلث قتلى العدو، ثلث قتلى العدو، وكل المسلمين اشتركوا وشارك هو معهم فيما بقي من قتلى العدو في تلك الملحمة الكبرى.. هكذا كان وزنه وهكذا كان دوره رجلًا عظيمًا وبطلًا ثابتًا سخر كل شجاعته كل تفانيه كل عوامل التضحية والفداء لديه لإحقاق الحق وإزهاق الباطل وإقامة الإسلام الدين الحق.

معركة أحد

وهكذا نشهد للإمام علي ‹عليه السلام› مواقفه المتميزة والفريدة والواضحة داخل الجيش الإسلامي في (أحد) عندما انهزم المسلمون فكان هو ذلك الثابت

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.

الذي لا يتزحزح ولا يتزلزل ويوكل على نفسه مهمة أساسية في الذب عن شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في مرحلة كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يتعرض فيها للقتل، فكان يرد الكتيبة تلو الأخرى تأتي الكتيبة التي تعمد إلى الوصول إلى شخص النبي لاستهدافه فيقول: أدفعهم عني يا علي، فيتحرك ليقتل قائد تلك الكتيبة ثم يدفع الكتيبة الأخرى وهذا موقف متميز سجله له التاريخ.

وفي هذا اليوم نادى مناد: «**لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**»[1].

بطل الخندق

موقفه المتميز في غزوة (الخندق) عندما برز عمر بن عبد ود العامري والذي كان يمثل دورًا كبيرًا لنصرة الشرك وعاملًا معنويًا مهمًا في رفع معنويات العدو باعتباره أحد الأبطال المشهورين وفرسان الكفر والشرك والطاغوت المعروفين ببطولتهم واستبسالهم وبراعتهم في القتال وشدة بأسهم فكان مهابًا ولكنه عندما برز وجعل يتحدى وينادي بأعلى صوته ينادي: هل من مبارز؟ كان من تصدى لهذا المجرم لهذا البطل الذي هو أحد قادة وفرسان وأبطال الكفر والشرك وصناديد الشرك كان هو الرجل المتميز الإمام علي (عليه السلام) الذي قال عندما قال الرسول من يبرز له وأنا أضمن له الجنة فكان علي هو المتقدم لهذه المهمة فيعرض نفسه ويقدم استعداده للقيام بهذه المهمة بكل رغبة وللمرة الثانية وللمرة الثالثة والرسول يقول من يبرز له ثم يتقدم للقيام بهذه المهمة ليقول الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كلمة مهمةً سجلها التاريخ «**برز الإيمان كله إلى الشرك كله**» فالإمام علي (عليه السلام) عندما برز برز الإيمان، برز يحمل الإيمان في قلبه عقيدةً ومبدأ وفي روحه عزمًا وإرادة وصلابة وكان في موقف حاسم يمثل فيه قوة الإيمان في زيف طغيان الشرك وجبروته فكان أن انتصر الإيمان وانتصر علي وانتصر الإسلام وقتل عمر بن عبد ود وكان قتله عاملًا مهمًا في إضعاف معنويات الأعداء.

فلقد كان عمرو بن عبد ود من أبرز صناديد قريش ورجالاتها، وبقتله انهارت قوّة

(١) سيرة ابن هشام عن ابن أبي بحيح.

قريش فيئسوا وشعروا بالضّعف والهزيمة؛ لذا وصف رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› موقف عليّ يوم الخندق بقوله: «لَمبارزة عليّ بن أبي طالب لِعمرو بن عبد ودٍّ يوم الخندق أفضل من أعمال أُمّتي إلى يوم القيامة»[1].

فاتح خيبر

ثم في خيبر في الصراع مع اليهود وبعد حالة من الهزيمة والتراجع للجيش الإسلامي مع غياب علي ‹عليه السلام› في القصة المشهورة التي ذكرتها السير والتواريخ يتميز دور علي ‹عليه السلام› في اللحظات الأخيرة وفي المرحلة الأخيرة وقدم الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› موقفًا مهمًا ودرسًا كبيرًا للأمة إلى قيام الساعة لأمته التي سيكون لها صراع محموم مع هذه الفئة الظالمة والطاغية فقال كلمته المشهورة:[2] «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه[3].

روى ابن هشام بأن رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› عندما بدأ الهجوم على حصون اليهود في خيبر أرسل أبا بكر (فرجع ولم يكُ فتح وقد جُهد).[4]

وقال الطبري: (أعطى رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من النّاس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› يجبّنه أصحابه ويجبّنهم، فقال رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: «لأعطين الرّاية، غدًا رجلًا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» وفي رواية ابن هشام: يفتح الله على يديه ليس بفرّار، فلمّا

---

(١) الحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ٣٢ عن سفيان الثوري، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٩.

(٢) (البخاري رقم ٣٩٧٣، ورقم ٣٤٩٨، ٣٤٩٩ بلفظه، والنسائي ٣٦، وحديث الراية روي بعدة طرق في مسلم٤/١٨٧١ رقم ٣٤٠٤، والترمذي٥/٥٩٦ رقم ٣٧٢٤، وأحمد١/٣٩١ رقم١٦٠٨، وخصائص النسائي ص ٣٢ رقم ٩، وص ٧٠ رقم ٥٢، والحاكم ٣/١٠٨. وبلفظ: «لأَبْعَثَنَّ غَدًا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُحِبُّ اللّه وَرَسُولَهُ وَيُحِبَّانِه؛ لَا يُوَلِّي الدُّبُرَ، يَفْتَحُ اللّه عَلَيْهِ». ومجمع الزوائد ٥/١٥١، والحاكم ٣/٨٣.) من السيرة للمحطوري.

(٣) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.

(٤) سيرة ابن هشام،ج٣، ص ٣٤٩.

كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر فدعا (صلوات الله عليه وعلى آله) عليًّا (عليه السلام) وهو أرمد فبصق في عينيه، ثمّ قال: «**خُذْ هذه الرّاية، فامضِ بها حتّى يُفْتَحَ عليك**»).[1]

تأهّب الامام عليّ بن أبي طالب للهجوم على الحصن، اتّجه نحو تمركز العدو ومعه عدد من المقاتلين، فبدأ المعركة؛ ولنستمع إلى أبي رافع مَولى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو يروي أحداث المعركة: (خرجنا مع عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) حين بعثه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) برايته، فلمّا دنا من الحصن، خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطاح ترسه من يده، فتناول عليّ (عليه السلام) بابًا كان عند الحصن فَتَتَرَّسَ به، عن نفسه، فلم يَزَلْ في يده وهو يقاتلُ حتّى فتح الله عليه، ثمّ ألقاه من يده حين فرغ، فقد رَأَيْتَني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهدُ أن نقلب ذلك البابَ، فما نقلبُهُ)[2].

لقد فتح عليّ (عليه السلام) الحصنَ ومعه المقاتلون المسلمون فانهارت مقاومة يهود خيبر ونصر الله نبيّه ودمّرت تلك القوّة العسكرية المنيعة.

درس مهم نستفيده من خيبر

درس مهم تركه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) للأمة من بعده من غزوة خيبر حتى تكون على وعي كامل وبصيرة عالية بمن هو الجدير بقيادتها ومن هو الذي يستطيع أن يقودها إلى النصر والعزة ومن يمثل صمام الأمان لهذه الأمة وبالذات في مواجهة اليهود الذين هم العدو التاريخي والمستقبلي لهذه الأمة.

في خيبر كشف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف أن الأمة كما يقول السيد حسين - رضوان الله عليه -: إن الأمة بحاجة إلى علي حتى وإن كان في مقام قد تعتقد أنه لا ينفع فيه.. فنحن نحن بحاجة أن نتولى عليًا (عليه السلام). وإن كنا نعتقد أن عليًا لن يخرج بسيفه فيقاتل.

---

(١) الطبري، تأريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٣٠٠، وسيرة ابن هشام نفس الجزء والصفحة.
(٢) الإمام أبوطالب في الأمالي ص٦٦. الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج٦ص٨، ومحمد بن جرير الطبري في تاريخه ج٣ ص٩٤، وابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج١ص٢٢٤، وغيرهم كثير، يراجع كتاب الغارة السريعة ص٤٢٣، و أمالي المرشد بالله ج١ص١٣٧.

عندما كان أرمد لا يبصر موضع قدميه، ألم يكونوا يرون بأنهم لا يحتاجون إلى علي؟ فعندما قال رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: «لأعطينّ الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» نفس الآية التي قالت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤] نفس المنطق يضعه رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› على علي: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه».[1]

وفي تبوك

تواردت الأنباء إلى الرّسول القائد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› من أنّ الرّوم أعدّوا العُدّة لغَزو الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية، الّتي تُعتبر جزءًا من الدولة الإسلامية.

فقرّر الرّسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› أن يقود بنفسه الحملة العسكرية لمواجهتهم وأصدر أوامره لاستنفار المسلمين في المدينة المنوّرة وخارجها.

ولم يقف المنافقون عند هذا الحد، بل راحوا يدعون الناس إلى التخلّف عن الجيش الاسلامي، وأعدّوا دارًا لتجمّعاتهم، وبدؤوا يحيكون المؤامرات لزعزعة الأوضاع في المدينة في غياب النبي ‹صلوات الله عليه وآله›.

وفي مواجهة التهديد الذي مثلته الحملة العسكرية الضخمة الرومانية خارج الجزيرة العربية والتهديد الذي يمثله المنافقون في الداخل كان لا بد أن يخرج هو بنفسه لمواجهة الروم وأن يبقى في المدينة شخصية تكون قادرة على حماية عاصمة الدولة الإسلامية حيث كانت وضعية الأمة في خطر كبير يتهددها من قبل الدولة العظمى في ذلك الوقت فقد وصلت وضعية المسلمين إلى درجة أن المنافقين، وبعض من تخلفوا من الأعراب تشجعوا إلى أن يدبروا مؤامرة ضد رسول الله في المدينة نفسها؛ ليمسحوا الدولة الإسلامية كلها فترك لهم عليًا؛ لأن عليًا هو صمام الأمان للدولة الإسلامية سيبقى في المدينة بعده، وهو من يخرج إلى أقصى منطقة.

---

(١) آيات من سورة المائدة، الدرس الأول.

ولهذا المنافقون أشاعوا دعاية ضد الإمام علي (عليه السلام): أن رسول الله إنما خلفه في النساء والأطفال، أنه إنما استثقله، كره خروجه معه. فلحق علي (عليه السلام) برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فقلده ذلك الوسام الذي أبكم المنافقين، وكمم أفواههم: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»[1] فعاد علي (عليه السلام) إلى المدينة ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) توجه لقيادة الجيش إلى (تبوك).[2]

وكم أسطر لك من بطولات علي (عليه السلام) وصفحات جهاده المشرقة التي تشع بالمجد والعزة والإخلاص.

فدونك تاريخ الإسلام في عصره الأول في عهد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فأنعم النظر في صفحاته كي تحدثك بفضل علي على الإسلام رسالة وأمة وتاريخا.

على أن الجانب المعنوي في جهاد الإمام علي ليس مجدا في حجم البطولات وعدد المعارك التي خاض غمارها فحسب وإنما في صدق النية وحجم الإخلاص الذي امتلأ به قلب علي وهو يخوض تلك الحروب ببسالة فائقة وشجاعة نادرة وصمود لا يرد.

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم يثني على تلك الروح التي كان يحملها أمير المؤمنين عبر كفاحه من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض فها هو القرآن الكريم يثني على علي يوم فدى بنفسه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويكشف بعمق عن صدق علي (عليه السلام) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة:٢٠٧].

وها هو كتاب الله العزيز يقطع بأن جهاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وبطولاته وتضحياته كانت من أجل الله وإعلاء كلمته وإنقاذ عباده ولا يمكن أن تقرن بأي لون من ألوان العمل الآخر فبسبب الثمن الباهظ الذي يتطلبه الجهاد

---

(١) أحمد بن حنبل في مسنده، ص ٣٣٠، والنّسائي في الخصائص، ص ١٤، وابن سعد في الطبقات، ج١٣، ص٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج ٧، ص ١٩٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج٧، ص٤٥٢، والمتّقي الهندي في كنز العمّال، ج ٣، ص ١٥٤، والمفيد في الإرشاد، ص٨٣، وغيرها من المصادر.

(٢) آيات من سورة المائدة - الدرس الرابع.

وبسبب الدافع الإيماني المخلص الذي يحتله علي في دنيا المتقين: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[التوبة:١٩] فعلى إثر حوار تفاخري بين طلحة بن شيبة والعباس بن عبد المطلب قال فيه طلحة: أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي. فقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها. وفيما كانا يتفاخران مر الإمام ‹عليه السلام› فافتخر عليهما بقوله: لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فنزل قول الله تعالى في ذلك كاشفًا عن المستوى العظيم الذي يتبوؤه علي ‹عليه السلام› من ناحية عمله الإسلامي: ضخامة وأخلاصًا بعدًا وجوهرًا.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي:

وباختصار فقد كان في كل مواطن الإسلام الكبرى ومعاركه الفاصلة والحاسمة مع أعدائه البطل المتميز الرجل المتميز بفدائيته وتضحيته وتفانيه في سبيل الله سبحانه وتعالى، فكان هو الذي يتصدى لصناديد الشرك وأبطال الكفر والمردة المتعنتين الذين كان لهم شهرة ببطولتهم وبراعتهم القتالية والذين كانوا يمثلون أعمدة وأساطين لقوى الشرك والطاغوت يعتمدون عليها في محاولتهم للقضاء على الإسلام منذ انبثاق نوره وفجره[١].

ومن أقوال الإمام علي ‹عليه السلام› التي تعكس معرفته بعظمة وفضل الجهاد في سبيل الله قوله:

«إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ». [٢]

ويقول: «فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ وَأَنْ أُصْبِرَ لِلْجِلاَدِ هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلاَ أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي». [٣]

---

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.
(٢) نهج البلاغة ج١ ص١٨٢.
(٣) نهج البلاغة ج١ص ٦٤.

وفي فضل الجهاد يقول:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخَسْفَ وَمُنِعَ النَّصَفَ».[1]

ويقول:

«إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ».[2]

وفي وصيته الأخيرة يقول لأولاده وشيعته:

«اللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».[3]

حادثة المباهلة

بعد أن تحقّق النصر للدعوة الإسلامية ونبيّها الكريم محمّد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في أرجاء الجزيرة، وتمّ فتح مكّة والطائف ودُمِّرَت معاقل الشِّرك والوثنيّة وظهر الاسلام كقوّة عقيدية وسياسية وعسكرية ؛ أخذت وفود العرب تَفِدُ على رسول الله لتُعْلِنَ إسلامها وولاءها، فوفد على رسول الله ثلاثة وثلاثون وفدًا يمثّلون قبائلهم، وأخذ رسول الله يوجّه كتبه ورسله إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام من منطق القوّة والوثوق بالوعد الإلهي بالنصر المؤزر، وكان ممن وجّه إليهم كتبه، هم أساقفةُ نجران يدعوهم إلى الإسلام ويعرّفهم بدعوته. ونصّ كتابه المبارك هو: «بسم الله، من محمّد رسول الله إلى أساقفة نجران: بسم الله فإنّي أحمدُ إليكم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، أمّا بعد ذلكم فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإنْ أبيتم فالجزية، وإنْ أبيتم آذَنتكم بحرب، والسلام»[4].

(١) نهج البلاغة ج١ ص٦٩.
(٢) نهج البلاغة ج ١ص١٦٣.
(٣) نهج البلاغة ج ٢ص٤٢٢.
(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨١.

حلّ هذا الكتاب الّذي خاطب زعماء النصارى في نجران في بلاد اليمن، مثل انطلاقة جديدة تستهدف إحلال الدين الإسلامي. وفق السنن الإلهيّة. الذي يمثل لبَّ الرسالات السماوية محلّ الديانة المسيحية وغيرها باعتبار الإسلام يمثل لبَّ الرسالات السماوية ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى:١٣] وفي الرِّسالة نُلاحظ أنّ الرّسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› حاول أن يُرْجِعَهُم إلى أُصول العقيدة التوحيدية الّتي بشّر بها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب لاتفاقهم معه، أنّ هؤلاء هم رسل الله، ولِيُثْبِتَ لهم أنّه نبيٌّ يدعو بدعوة الأنبياء.

والقرآن الكريم يؤكد للناس جميعًا بما فيه هؤلاء النصارى بأنه كتاب مهيمن على ما سبقه من الكتب ومصدق لما بين يديه من الكتب، فالإيمان بالقرآن الالتزام بالقرآن هو إيمان والتزام وتطبيق لدين الله الذي أراد أن يتعبد الناس به، وأن يهديهم إليه.

ثمّ إنّنا نشاهد في هذه الرِّسالة منطق القوّة الّتي يُخاطَبُ بها المُعاندون، إنْ لم يستجيبوا لمنطق الحق، ودعوة العقل السليم.

لقد أحدثَ هذا الكتاب هزّة عنيفة في كيان النصارى في بلاد اليمن، ورأوا أنْ يَقدموا على رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بوفد يخوض حوارًا عقيديًّا وفكريًّا، توجّه الوفد برئاسة أبي حارثة الأُسقُف ومعه عدد من كبار المسيحيين، فوصلوا المدينة ودخلوا على رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في مسجده الشريف وهم متباهون بزينتهم وحُليِّهم ظانّين أنّ ذلك يؤثّر على موقف رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› النفسيّ. وحين رآهم رسول الله متظاهرين بمظاهر العظمة المزيّفة قال لأصحابه: «**دعوهم**». ثمّ التقوا رسولَ الله، وبدأ الحوار والمساءلة طوال ذلك اليوم. ثمّ سأل أبو حارثة رسولَ الله: (يا محمّد! ما تقول في المسيح؟ قال: «**هو عبد الله ورسوله**». فقال أبو حارثة: تعالَى الله عمّا قلت).

وكان يظنُّ في المسيح ظنّ الرّبوبية، وحين اشتدّ إصرارهم على القوّة من عقيدة الشِّرْك وتأليه المسيح ورفض نبوّة محمّد ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، أراد الله سبحانه أن يُظْهِر لهم نبوّة محمّد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بإجابة دعوته وبطلان عقيدتهم ودعواهم، فأنزل الله على نبيِّه آية المباهلة، قال تعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١].

استمع الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى البيان الإلهي. فأصْغَى إلى كلمة الفصل والنص السماوي له. إنّهُ حجّة إعجازيّة تُضاف إلى حجّته الفكرية والمبدئية، وإذن توجّه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بالخطاب إلى وفد النصارى: «**إن لم تُؤمنوا بي وتُصدِّقوني، فتعالَوا نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لعنةَ اللّه علَى الكاذب ونَنْتَظِرْ مَنْ سيَقَعُ عليهِ العَذابُ والعِقابُ الإلهي فهوَ على باطل**»، فقالوا للنبيّ: نُباهِلُكَ غدًا.

ثمّ اجتمعوا فتحاوروا وتشاوروا بينهم، فقال أبو حارثة لوفده: (أُنْظُروا مَنْ جاءَ معه، وغدا رسول الله آخذًا بيد الحسن والحسين تتبعُهُ فاطمةُ، وعليّ بن أبي طالب بين يديه، وغدا العاقبُ والسيِّدُ بابْنَيْن لهما عليهما الدُّرُّ والحُليُّ، وقد حَفّوا بأبي حارثة، فقال أبو حارثة: مَنْ هؤلاء مَعَه؟ قالوا: هذا ابن عمِّه، وهذه ابنتُهُ، وهذان ابناها، فجثا رسولُ الله على ركبتيه ثمّ رَكَعَ، فقال أبو حارثة: جثا واللّه كما يجثو النبيّونَ للمباهلة). والله إني لأرى وجوهًا لو سألت الله أن يزيل هذا الجبل من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة. توجهوا إلى النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فقالوا يا أبا القاسم رأينا ألَّا نباهلك.... قال الرازي: واعلم أن هذه الرواية كمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث(١).

قال الزمخشري في سياق تفسير آية المباهلة: (وقدّمهم في الذِّكر عَلَى الأنْفُس ليُنَبِّهَ على لُطف مَكانهم وقُرْبِ مَنْزِلَتِهم، وليُؤْذِنَ بأنّهم مُقدّمونَ علَى الأنْفُس مُفْدَوْنَ بها... وفيه دليلٌ لا شَيءَ أقوى منه عَلَى فَضْلِ أصحابِ الكساء)(٢).

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٢. وتفسير الرازي ٢٤٧/٣. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب. والترمذي ٦٣٨/٥. وأحمد ١٨٥/١، وغيرهم.

(٢) الزمخشري، تفسير الكشّاف، سورة آل عمران: الآية ٦١، وكذا جاء في تفسير الثعالبي عن مجاهد والكلبي: ويُطلق لفظ أصحاب الكساء على الّذين اجتمعوا مع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت كسائه ونزلت فيهم آية التطهير، وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

إعلان البراءة من المشركين

ومن المواقف التي تدل على مكانة الإمام علي وبأنه رجل المواقف الذي لا بديل عنه ما حصل في تبليغ البراءة من المشركين فقد اختير الإمام علي (عليه السلام) لتبليغ وإعلان البراءة على المشركين حيث كان قد انتدب أبو بكر لتبليغها فلمّا كان أبو بكر في بعض الطريق، هبط الأمين جبرائيل (عليه السلام) بالأمر من الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يَتولّى التبليغَ عليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فبعث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كتابًا إلى أبي بكر، يأمرهُ بإعطاء الكتاب الّذي يحمل السورة المباركة إلى عليّ (عليه السلام)، وهكذا كان.

فعاد أبو بكر إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كئيبًا، فقال له: أنزلَ فيَّ شيء؟

قال (صلوات الله عليه وعلى آله): «**لا، إلّا أنِّي أُمِرْتُ أنْ أُبلِّغه أنا أو رجلٌ من أهل بيتي**»[1].

عن علي (سلام الله عليه) قال: «لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي (صلوات اللّه عليه وعلى آله) دعا النبي (صلوات اللّه عليه وعلى آله) أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني النبي (صلوات اللّه عليه وعلى آله) فقال لي أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي (صلوات اللّه عليه وعلى آله) فقال: يا رسول اللّه نزل في شيء؟ فقال: لا ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك».[2]

في إشارة إلى الإمام علي (عليه السلام) ومكانته العظيمة عند الله وعند رسوله.. وأن المهمة تتطلب رجلًا بمستوى الإمام علي (عليه السلام).

---

(١) النّسائي في خصاصه، ص ٢٠. والترمذي في صحيحه، ج ٢، ص ١٨٣. وأحمد بن حنبل في مسنده، ج ٣، ص ٢٨٣. والسيوطي في الدر المنثور. وابن جرير في تفسيره، ج ١٠، ص ٤٦. والحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ٥١، وغيرها.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ١/١٥١. وأحمد في المسند ١/ ٣ عن أبي بكر، وأصل الحديث أخرجه في جملة عشر فضائل عن ابن عباس ٣/١٣٣. وصححه وأقره الذهبي. من كتاب (إرشاد الطالب للسيد بدر الدين الحوثي رحمة اللّه عليه).

لقد كانت أول عملية لإعادة الحج إلى حج إسلامي يوم أرسل الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› علي بن أبي طالب ‹صلوات الله عليه› ليعلن البراءة من المشركين بتلك العشر الآيات الأولى من سورة براءة، بل ليعلن الحرب على المشركين وليس فقط البراءة منهم.

وسار عليّ ‹عليه السلام› حتّى إذا وصل مكّة وقف بمنى، وقرأ السورة المباركة، ثمّ نادى بأعلى صوته: «**لا تَدخُلُ الكعبةَ إلّا نفسٌ مؤمنةٌ، ولا يطوفُ بالبيت عُريانُ، ومَنْ كانَ لهُ عهدٌ عند رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› فعهدهُ إلى مُدّته، ومَن لم يكن له عهد، فأجلُهُ أربعة أشهر**»[1].

كانت تلك هي أول عملية لتحويل الحج إلى حج إسلامي، وصبغه بصبغة توحي بالأهداف المقصودة من وراء تلك العبادة العظيمة التي هي الحج.

فقال سبحانه وتعالى يحكي تلك البراءة: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة: ٣] براءة من الله، وبراءة من رسوله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، وبراءة من علي، قرأها علي كلها براءة من المشركين.

وبهذا البيان طُوِيَتْ آخرُ صفحة للشِّرْك في مكّة المكرّمة، وعادت الكعبة لله وحدَهُ، لا يُعْبَدُ فيها غيرُهُ سبحانه ولا تُقام فيها غيرُ شعائر دينه العظيم.

مبدئية الإمام علي ‹عليه السلام›

بقدر الشجاعة التي كان يحملها الإمام علي ‹عليه السلام› كان يحمل أيضًا معها مبدئية عالية في الحرب فجسد بكل جدارة المبدئية التي نص عليها القرآن سواء من حيث الروحية التي يجب أن يحملها المجاهدون في سبيل الله أو من حيث السلوك والعقيدة والممارسات والتعامل مع الخصوم، فقد رسم الإمام بشهادة العديد من المفكرين المنهجية الأقوم في الصراع مع الآخرين حتى إن البطل مالك الأشتر النخعي قال كلمة مهمة في الحرب قال: "علمني الإمام علي ‹عليه السلام› كيف أقاتل عدوي دون أن أحقد عليه"[2].

(١) الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ص ١٣٢، ومحمّد حسين هيكل، حياة محمّد، ص ٤٧٣.
(٢) الدرس الرابع من دروس رمضان للسيد حسين رضوان الله عليه.

مبدئية الإمام علي مع خصومه

ـ مع عمرو بن العاص

أما موقفه من عمرو بن العاص فهو من الأمور التي انفرد بها الإمام (سلام الله عليه) إذ لم يوجد بطل من أبطال التاريخ يرى ألد أعدائه أمامه وقد طرحه أرضًا ثم يتركه ويذهب دون أن يجهز عليه وهو يعرف خطورته الشديدة؛ لأنه عندما أقبل عليه الإمام لينهيه بضربة حيدرية تنقله على الفور من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة كشف عن سَوْآته، فأعرض الإمام عنه، وأبت عليه مبدئيته الدينية ونخوته وإباؤه أن يقتله وهو على هذه الحالة مع معرفة الإمام بخطورة عمرو بن العاص، وأنه كان (الدينامو) المحرك لجيش معاوية.

يقول عباس محمود العقاد معلقًا على هذه الحادثة: ومن الفرص التي أبت عليه (يعني عليًا) النخوة أن يهتبلها فرصة عمرو بن العاص وهو ملقى على الأرض مكشوف السوأة لا يبالي أن يدفع عنه الموت بما حضره من وقاء، فصدف بوجهه عنه آنفًا أن يصرع رجلًا يخاف الموت هذه المخافة التي لا يرضاها من منازلة في مجال صراع، ولو غير عليٍّ أتيح له أن يقضي على عمرو لعلم أنه قاضٍ على جرثومة عداءٍ ودهاء فلم يبال أن يصيبه حيث ظفر به[1].

كذلك بُسْرُ بن أرطأة أحد قادة جيش معاوية هو الآخر نجا من ذي الفقار برفع الغطاء عن سوأته أمام الإمام علي (عليه السلام) وكاد هذا العمل أن يصير ثقافة لدى جيش معاوية كوسيلة من وسائل النجاة أمام ضربات ذي الفقار.

هذه الأحداث تكشف بجلاء معرفة الناس جميعًا - العدو والصديق - ما يحمله الإمام علي (عليه السلام) من قيم ومبادئ عالية وإلا لما استخدموا مثل هذه الأساليب أمام ضرباته.

ـ مع طلحة والزبير

ومما يدل على ما كان يتحلى به الإمام من قيم عظيمة أن طلحة والزبير عندما بايعا الإمام كانا يطمعان في إمرة البصرة والكوفة وعندما لم يحصلا على ذلك

(١) مقدمة نهج البلاغة من مقال للعقاد بعنوان (ملتقى النفوس البشرية) ص٥٨.

غادرا المدينة بذريعة العمرة وكان الإمام يعرف تمامًا بأنهما لا يريدان العمرة وإنما الغدر والخديعة وقال لهما ذلك إلا أنه رغم هذه المعرفة لم يفتك بهما وهما في قبضة يده وهو قادر على ذلك. ومما قال: «**حتى اجتمع عليَّ ملأُكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في أوجههما، والنكث في أعينهما، ثم استئذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليسا لعمرة يريدان**».

ـ مع معاوية بن أبي سفيان

ومما يدل على عظمة الإمام علي أنه لمَّا بويع (عليه السلام) بلغه: أن معاوية قد وقف من إظهار البيعة له وقال: إن أقرَّني على الشام وأعمالي التي ولانيها عثمان بايعته.

فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين فقال له: يا أمير المؤمنين إن معاوية من قد عرفت وقد ولاه الشام من كان قبلك فوله أنت كيما تتسق عُرَا الأمور، ثم اعزله إن بدا لك.

فقال أمير المؤمنين: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟!

قال: لا.

قال: لا يسألني الله - عز وجل - عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبدًا، وما كنت متخذ المضلين عضدًا، لكن أبعثُ إليه وأدعوه إلى ما في يدي من الحق فإن أجاب فرجلٌ من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وإن أبى حاكمته إلى الله.

ـ مع عائشة

كان أمير المؤمنين متهيئًا لغزو الشام، حيث أعلن معاوية التمرد على حكومته ورفض بيعته، وبينما هو جادٌ في تدبير الأمر.. إذ فاجأه الخبر عن أهل مكة وتمردهم بقيادة طلحة والزبير وعائشة جاعلين من الطلب بدم عثمان ستارًا يخفون وراءه الأهداف الحقيقية لمطامعهم.

ورأى الإمام أن خطرهم أقوى من خطر معاوية، وشرهم أقوى من شره، وإذا لم يبادر لإخماد هذه الفتنة فإنه يوشك أن تتسع ويكثر التمرد والاختلاف، فتجهز

للشخوص إليهم، وتجهزت لنصرته البقية الصالحة من المهاجرين والأنصار.

وكان الإمام يهدف إلى أن يقضي على الفتنة قبل أن تتسع، ولكنهم سبقوا الإمام إلى البصرة، وأرسل الإمام إلى جماهير أهل الكوفة يدعوهم إلى نصرته والقيام معه لإخماد نار الفتنة، حيث بعث في البداية محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر وزودهما برسالة إلى أهل الكوفة، ولم يحصل تجاوب من قبل أبي موسى الأشعري والذي كان واليًا على الكوفة.

وبعد مواجهة عنيفة كان لعائشة وجملها الدور البارز فيه، تنجلي المعركة عن هزيمة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم من المغرر بهم وأصحاب الأطماع، ورغم ذلك يصفح الإمام عن عائشة وعن جميع المعارضين، بما فيهم عبد الله بن الزبير، ونادى مناديه (عليه السلام): ألَا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مول ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن[1].

ولم يكتف الإمام بهذا بالنسبة لعائشة بل عمل على أن يعيدها إلى المدينة معززة مكرمة لتقر في بيتها كما أمرها الله سبحانه وتعالى؛ فجهزها بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة، وقال بعضهم سبعين امرأة، حتى قدمت المدينة، وقد لبسن لباس الرجال حتى لا يطمع فيهن أحد.[2]

من وصايا الإمام المهمة

ومن وصايا الإمام علي (عليه السلام) في الحروب لجنوده التي تعكس هذه المبدأية والقيم العالية نورد بعض تلك النصوص.

فمن وصية له (عليه السلام) لعسكره قبل لقاء العدو بصفين:

«لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِرًا وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وَإِنْ

(١) تاريخ أبي مخنف ١/١٤٩، ومروج الذهب ٢/٣٧٦، وفي ظلال التشيع ١١٥، والعقد الفريد ٤/١٣٠-١٣٢.

(٢) العقد الفريد ٤/١٣٣.

شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ». (١)

هذا نموذج لما أثر من تعاليم وآداب وقيم ومبادئ للحرب عند الإمام علي ‹عليه السلام› والتي تعكس أيضًا روحية القرآن الكريم وتعاليمه ومبادئه وقيمه.

ومما كان يقول ‹عليه السلام› مستنكرًا حالة التخلي عن القيم والمبادئ:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ». (٢)

وتحدث عمن قال في دور حكومته من عبيد الشهوات والمناصب بأنه لا دراية له في شؤون السياسة وأن معاوية خبيرٌ بها وخليقٌ بإدارة دفة الحكم.

فقال ‹عليه السلام›: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ». (٣)

سرُّ قوة الإمام علي (عليه السلام)

وهكذا كان الإمام علي ‹عليه السلام› قويًا متميزًا في ميدان الجهاد في ميدان البطولة في ميدان الاستبسال؛ متميزًا لأنه يحمل هذه المواصفات في نفسه وروحه وقلبه، لأنه يتحرك وهو يحمل هذه القوة: قوة محبته لله، ومحبته لرسوله، وهو

(١) نهج البلاغة ج ١ص٣٧٣.
(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ٨٣.
(٣) نهج البلاغة ج ١ ص ٣١٨.

يتحرك وهو يحظى برعاية كبيرة من الله لأن الله يحبه وهو محبوب لدى الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، ومن أهم ما قاله الرسول ويبين لنا المكانة المهمة للإمام علي عند رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› عندما برز في مواجهة عمرو بن عبد ود قال النبي ‹صلى الله عليه وآله وسلم›: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ هذه الكلمة تدلل على موقع عليٍّ عند رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› فتحرك الإمام علي ‹عليه السلام› بهذه المواصفات المهمة رجلًا بكل ما تعنيه كلمة رجل يحمل في قلبه المحبة العظيمة لله ورسوله ومن تلك المحبة العظيمة يحمل قوة الإيمان وعاد منتصرًا فاتحًا وبتلك القوة الإيمانية قلع باب خيبر، كرار لا يتراجع ولا يقبل بالهزيمة، صلب وقوي في مواجهة الأعداء لدرجة أنه في حروبه كان يحمل فقط درعًا أماميًا فيسألونه لماذا لا يكون لك درع متكامل ومن خلفك فيقول: لا أحتاج لخلفي لأنه لا يولي العدو دبره مقدام ووجهته دائمًا هي إلى الأمام.[1]

باب مدينة علم الرسول

الإمام علي ‹عليه السلام› كان في كل مواطن الإسلام الكبرى وأمام التحديات والأخطار على وجود الإسلام كان الجندي المتميز بطل الإسلام العظيم والمتميز بأخلاق الإسلام لم يكن وحشًا، الإمام علي ‹عليه السلام› لم يكن وحشًا، لا.. كان يحمل أخلاق الإسلام وكانت قوته من قوة إيمانه ومن قوة ما يحمل من مبادئ وأخلاق وعلاقة وطيدة بالله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى أمده بمدد معنويٍّ عظيم وهائل جعله في ذلك المستوى، ثم هو في بقية الميادين رجل متميز في مدرسة الإسلام الكبرى.

عندما نأتي إلى علمه يبرز متميزًا فالرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› يقول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[2] فهو باب مدينة علم الرسول ‹صلى الله عليه وآله

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٢٦/٣، وقال: هذا حديث صحيح. والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل. و ابن المغازلي في مناقبه ص٧٢. والسيوطي في اللآلئ المصنوعة، ج١ ص٣٣٤. وتاريخ ابن عساكر ج٢ ص ٤٦٤. وأخرجه العقيلي وابن عدي والطبراني والحاكم، وابن عدي أيضًا والحاكم من حديث جابر. وأخرج الترمذي من حديث علي ‹عليه السلام› بلفظ: « أنا دار الحكمة وعلي بابها ». وللمزيد يراجع تحرير الأفكار والغارة السريعة للسيد العالم المجاهد بدر الدين الحوثي رحمه الله.

وسلم) لازم الرسول وبما منحه الله من ذكاء واستيعاب وأذن واعية كان يستوعب مما يقدمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من العلوم والمعارف والهدى والحق ما لم يكن يستوعبه غيره، وهو ذلك الذي كان الجميع بعد وفاة رسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يرجعون إليه عند المعضلات وما كان يرجع إلى أحد منهم، يرجعون إليه يستفتونه يسألونه يحل لهم معضلات المسائل، وترك للأمة ميراثًا متميزًا من العلم والحقائق والنور لا يزال قائمًا إلى الآن، وسيبقى قائمًا ما بقي الإسلام، وسيبقى الإسلام قائمًا ما بقيت الحياة وما بقيت الأرض.[1]

العطاء المعرفي للإمام

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

" علي بطلُو بدر وأحد والأحزاب وحُنين وخَيْبَر، بطل صفين والجمل والنهروان، علي الذي لم يكن فقط يذهل العقول في ميادين الجهاد وإنما كان أيضًا ينير الدروب بكلماته المباركة، بتوجيهاته النيِّرة، ببلاغته الخارقة. إنه ربيب محمد، وحليف وقرين القرآن.[2]"

فلم يكن العطاء الفكري العظيم الذي أسداه الإمام (عليه السلام) للإنسان إلا حصيلة طبيعية للإعداد الخاص الذي توفر للإمام من لدن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) منذ طفولة الإمام حتى آخر ساعة من حياة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله). لقد كان ذلك الإعداد النبوي منصبًّا على جميع جوانب شخصية الإمام من أجل تأهيله فكريًّا ونفسيًّا ليواصل الطريق التي سار عليها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ويكون امتدادًا للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وبديلًا عنه في غيابه عن مسرح الحياة. ليقول فيه النبي (صلوات الله عليه وعلى آله): «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**» مبينًا المكانة العظيمة والسامية التي يتبؤها الإمام علي (عليه السلام) في الجانب المعرفي وتدعو الأمة صراحة إلى وجوب أخذ معارف التشريع الإلهي عن طريقه؛ فمنه تستمد الأمة الهدى، وخلفه تسلك الصراط

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) لعام ١٤٣٣هـ.
(٢) الإرهاب والسلام.

المستقيم الذي سيوصلها إلى الله سبحانه وتعالى وجنته كما هي السنة الإلهية في الهداية لتبقى الأمة موحدة قوية تعيش الاستقرار التشريعي الذي عاشته أيام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله). لقد كان يقول: «**علمني رسول الله ألف باب من العلم كل باب يفتح لي ألف باب**» [1] كان يخاطب أصحابه بأن صدره يحمل علمًا عظيمًا تلقاه من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لو وجد له حملة أمناء يتصدون لحمله وتبليغه لأودع بعض علمه لديهم. «**إِنَّ هَا هُنَا لَعِلْمًا جَمًّا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً**»[2].

ويتحدث عن المخزون العلمي الكبير بما في ذلك علوم قد يحتار الناس عند سماعها ومما قال: «**بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ**».[3] ففكر الإمام وإن كان رساليًا هادفًا إلى خدمة الرسالة الإلهية وحملتها وعاملًا على دفع عجلة مسيرة الإسلام التاريخية إلى الأمام فإنه يبقى منهلًا عذبًا لتصيب منه الإنسانية بشتى نحَلها واتجاهاتها الفكرية وهو كفيل بهدايتها إلى الحق وإلى صراط مستقيم.. وأمامك نهج البلاغة بما حواه من علوم في شتى مجالات الحياة وهو ليس إلا غَرفة من ذلك البحر الزاخر بالعلم والمعرفة لكن الأمة خسرت خسارة فادحة إذ فرطت في هذا الإمام العظيم ليكون البديل هو الجهل والضياع والغباء.

من روائع الإمام

في رسائل الإمام علي وفي عهوده ووصاياه وفي خطبه وسائر أقواله روائع خالدة مثلت تراثًا عظيمًا للإنسانية بوصفها دستورًا جليلًا في الأخلاق الخاصة والعامة لا تسمو عليه دساتير المفكرين والحكماء في مختلف العصور والأمكنة.

ومن تلك الروائع: -

(١) لوامع الأنوار للسيد العلامة مجد الدين المؤيدي رحمة الله عليه ج١/ ٤٣٨.
(٢) لوامع الأنوار للسيد العلامة مجد الدين المؤيدي رحمة الله عليه ج٢ (٤٩٦).
(٣) نهج ا لبلاغة ١/ ٥٢.

من وصيته لابنه الحسن في صفين:

«يَا بُنَيَّ اجْعلْ نَفْسَكَ ميزَانًا فيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ؛ فَأَحْبِبْ لغَيْرِكَ مَا تُحبُّ لنَفْسكَ، واكْرَهْ لَهُ ما تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلمْ كمَا لَا تُحبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسنْ كَمَا تُحبُّ أَنْ يُحْسَنَ إليْكَ، وَاسْتَقْبِح منْ نَفْسكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ منْ غَيْركَ، وَارضَ منَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ منْ نَفْسكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحبُّ أنْ يُقَالَ لكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحكَ وَلَا تَكُنْ خَازنًا لغَيْركَ، وَإِذَا أَنْتَ هُديتَ لقَصْدكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لرَبِّكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَة بَعيدَة وَمَشَقَّة شَديدَة وَأَنَّهُ لَا غنَى بكَ فيه عَنْ حُسْنِ الارْتيَاد وَقَدْرِ بَلَاغكَ منَ الزَّاد مَعَ خفَّة الظَّهْرِ فَلَا تَحْملَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوقَ طَاقَتكَ فَيَكُونَ ثقْلُ ذَلكَ وَبَالًا عَلَيْكَ وَإِذَا وَجَدْتَ منْ أَهْلِ الْفَاقَة مَنْ يَحْملُ لَكَ زَادَكَ إلَى يَوْمِ الْقيَامَة فَيُوَافيكَ به غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إلَيْه فَاغْتَنمْهُ وَحَمِّلْهُ إيَّاهُ وَأَكْثرْ منْ تَزْويده وَأَنْتَ قَادرٌ عَلَيْه فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجدُهُ وَاغْتَنمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غنَاكَ ليَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ في يَوْمِ عُسْرَتكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُودًا الْمُخفُّ فيهَا أَحْسَنُ حَالًا منَ الْمُثْقلِ وَالْمُبْطئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا منَ الْمُسْرِعِ وَأَنَّ مَهْبطَكَ بهَا لَا مَحَالَةَ إمَّا عَلَى جَنَّة أَوْ عَلَى نَارٍ فَارْتَدْ لنَفْسكَ قَبْلَ نُزُولكَ وَوَطِّئ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولكَ فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْت مُسْتَعْتَبٌ وَلَا إلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ»[1].

وَقَالَ (عليه السلام): «أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَة».[2]

وَقَالَ (عليه السلام): «خير المقال ما صدقته الفعال».

وَقَالَ (عليه السلام): «أقبح الصدق ثناء المرء على نفسه».

وَقَالَ (عليه السلام): «لا تعمل الخير رياء ولا تتركه حياء».

وَقَالَ (عليه السلام): «لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ مُحَمَّد بْنِ أَبِي بَكْرٍ: إنَّ حُزْنَنَا عَلَيْه عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِه، إلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغيضًا وَنَقَصْنَا حَبيبًا».

وَقَالَ (عليه السلام): «مَا ظَفرَ مَنْ ظَفرَ الْإِثْمُ بِه، وَالْغَالبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ».

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٩٨.

(٢) نهج البلاغة ١/ ٣٩٧.

وَقَالَ (عليه السلام): «من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه».

وَقَالَ (عليه السلام): «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ».

وَقَالَ (عليه السلام): «مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِه اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِه، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللّٰهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ».

وَقَالَ (عليه السلام): «لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة من يسلكه».

وَقَالَ (عليه السلام): «عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ».

وَقَالَ (عليه السلام): «عليكم بكلمة الحق في الرضا والغضب وبالعدل على الصديق والعدو».

وَقَالَ (عليه السلام): «كَفَى أَدَبًا لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ..».

وَقَالَ (عليه السلام): «لتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك».

وَقَالَ (عليه السلام): «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ».

وَقَالَ (عليه السلام): «فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ».

وَقَالَ (عليه السلام): «لا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللّٰهُ حُرًّا».

تميزه في الرحمة والإحسان

أما عندما نتحول إلى بعدٍ آخر في شخصية هذا الرجل المتكامل في إيمانه المتكامل في إسلامه فمع أنه في مواطن التحدي في مواجهة الأخطار رجلٌ صلب وثابت ورجل بأس وشدة لكنه في مواطن الرحمة متميز برحمته بعطفه بإيثاره. سطوته وجبروته وقوته في مواجهة الظالمين والطغاة والجبابرة والمستكبرين وصناديد الكفر، أما مع المساكين أما مع الناس الآخرين فهو كله رحمة وكله عطف لا يوجد هناك شيءٌ من بأسه وجبروته وقسوته، لا.. كله عطف وكله حنان وكله رحمة وكله لطف؛ ولذلك ذكر لنا القرآن الكريم وسجل موقفًا يدلل على مدى رحمته وإيثاره وعطفه وحنانه المتميز سجله في سورة الإنسان في موقفٍ مشهور

معروف له ولزوجته فاطمة الزهراء ‹رضوان الله عليها› تلك الأسرة النبوية الكريمة العظيمة فيما تحمله من قيم في صيامهم ومع غروب الشمس ودخول الليل وحان وقت الإفطار وأتى وقت العشاء بجوعهم ولديهم القليل من الطعام، في وضعٍ اقتصاديٍّ صعب عاشوه في تلك المرحلة يأتي إليهم ذوو الحاجة من الناس، المسكين واليتيم والأسير فكان الموقف الذي سجله لهم القرآن الكريم ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا (٩)﴾[الإنسان] [1] بكل رحمة بكل عاطفة بكل محبة ومن واقعٍ إيمانيٍ قائمٍ على الخوف من الله وعلى ابتغاء مرضاته وعلى السعي للحصول على رحمته يقدمون طعامهم وهم في أشد الحاجة إليه ويصبرون على جوعهم ويؤثرون أولئك ذووا الحاجة والفقر والشدة، المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم هكذا يبرزون ويقدمون قيم الإسلام بأرقى صورة بأجمل صورة.[2]

تميزه في عبادته

سنورد هنا صورة واحدة من صور الاتصال بالله والتضرع إلى الله تعالى لدى أمير المؤمنين ‹عليه السلام› يروي أبو الدرداء في حديث قال: شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات النجار وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل فافتقدته وبعد عن مكانه،فقلت ألحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغم شجي، وهو يقول: «**إلهي كم من موبقة حلمتَ عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمتَ عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ولا أنا براجٍ غير رضوانك**».

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب ‹عليه السلام› بعينه فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال: «**إلهي أفكر**

(١) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل من عدة طرق، والمحقق المحمودي في حاشية فرائد السمطين ج ٢ ص ٥٤ في الفصل من مناقب الخوازمي، ومحمد بن سليمان الكوفي في مناقبه، وللمزيد حول الآيات الكريمة يطالع كتاب الغارة السريعة للسيد بدر الدين الحوثي رحمه الله ص ٣١٦.

(٢) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.

في عفوك فتهون علي خطيئتي ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليَّ بليتي».

ثم قال: «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول خذوه فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء» ثم قال: «آه من نارٍ تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من لهبات لظى» قال أبو الدرداء: ثم أمعن في البكاء فلم أسمع له حسًا ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر.

فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك وزويته فلم ينزو فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب فأتيت منزله مبادرًا أنعاه إليهم، فقالت فاطمة ‹عليها السلام›: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر فقالت: هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله.

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إلي وأنا أبكي فقال ممَ بكاؤك يا أبا الدرداء؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: «**يا أبا الدرداء فكيف لو رأيتني وقد دعي بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحباء ورفضني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة بي بين يدي من لا تخفى عليه خافية**». هذا شاهد من شواهد تعلق الإمام ‹عليه السلام› بالله تعالى وشدة انشداده إليه ورهبته منه.

وهكذا كان علي ‹عليه السلام› في شدة تعلقه بالله وعظيم تمسكه بمنهج الأنبياء ‹عليهم السلام› إنه ترجمة صادقة لعبادة محمد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.

تميزه في عدله

عندما نأتي إلى بعد آخر من أبعاد شخصية الإمام علي، علي المؤمن المتكامل في إيمانه عندما نأتي إلى عدله عندما ولي أمر الأمة وأصبحت رقعة جغرافية واسعة تحت حكمه وسيطرته لم يستغل موقعه ليعزز نفوذًا أو ليملك ثروة، أو ليظلم أو لينتقم أو يتجبر، بل سعى بكل جهده وهو يحمل قيم الإسلام وأخلاق الإسلام ليحقق العدل ويقيم الحق في واقع الأمة مواجهًا كل المعاناة والشدائد والمشاق

والصعاب والعوائق الكبيرة التي كانت أمامه وبخوف كبير من أن يظلم أي ظلم وقال كلمته المشهورة: «**وَاللّٰه لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللّٰهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ**»[1].

ما فعلت.. هذه روحية الإسلام أخلاقه فهو من موقعه في السلطة وهو يلي أمر الأمة يخاف كل الخوف، وبعيدٌ كل البعد، ويحذر كل الحذر أن يكون من أي ظلم ولو بهذا المقدار، لو كان هناك من وراء قليل من الظلم أن يسلب نملةً شعيرةً، حبة شعير، نملةً واحدة يسلبها قطعة من حبة شعير وأن يكون ما يحققه بهذا الظلم القليل القليل مكاسب كبيرة جدًا الأفلاك الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها ما فعلت؛ لأنه يرى ولو كان ما يكون من مكاسب مادية أو سياسية وتكون الوسيلة إليها والسبيل للوصول إليها هو قليلٌ قليلٌ من الظلم ليس مقبولًا في أخلاق علي ولا مستساغًا ولا الغاية تبرر الوسيلة، نأتي إلى كثير كثير ممن يحسبون على الإسلام توجهات قيادات تحت مسميات كثيرة مستعدون أن يهلكوا الأمة أن يصادروا الأمة أن يلحق بالأمة أي شيء مهما كان من الظلم أي قدر أي مستوى من الظلم مقابل أن يحصلوا على قليل قليل من المكاسب السياسية قليل قليل من المكاسب المادية، والإمام علي بروحيته العظيمة المتميزة روح الإسلام أخلاق الإسلام أثر القرآن أثر التربية النبوية الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها بقليلٍ قليل من الظلم لا يلحق بالناس ولا ببشر بل بنملة، بنملة لم يكن ليفعل.

دخل عليه ابن عباس أحد أنصاره وأحد قادته دخل عليه (بذي قار) وهو في طريقه إلى حرب الجمل وهو يخصف نعله بنفسه فقال ‹عليه السلام› يخاطب ابن عباس «**مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ**» واحدة من حذائه، ما قيمة هذه النعل؟ فقال ابن عباس: (لَا قِيمَةَ لَهَا) فَقَالَ ‹عليه السلام›: «**وَاللّٰه لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا**»[2] الإمرة والسلطة والموقع الأعلى في القيادة ليس له أي قيمة عند علي ‹عليه السلام› إذا لم يكن لإحقاق حق إذا لم يكن لدفع باطل إذا كان فقط لمجرد التحكم والسيطرة والتسلط، وأن يكون الإنسان يحظى بمسمى وظيفي عالٍ ويكون لديه صلاحيات واقتدار يحقق لنفسه مكاسب شخصية، فهو

(١) نهج البلاغة ج ١ ص (٣٤٧).
(٢) نهج البلاغة ج ١ ص (٧٦).

بورٌ، هو جهنم، هو عذاب، هو شقاء، ليس له أي قيمة بل ووبال على صاحبه «**والله - واحدة مفردة واحدة من حذائه نعل- لهي أحب إليّ من إمرتكم هذه إلا أن أقيم حقًا أو أدفع باطلا**» فالقيمة للموقع في السلطة والاقتدار الذي يكسبه الإنسان من موقعه في السلطة هي بقدر ما تقيم من الحق وبقدر ما تدفع من الباطل بقدر ما تقيم من العدل وتحققه من العدل، فهكذا هو علي ‹عليه السلام› في عدله وكان فعله مصداقًا لقوله، وسيرته تشهد وتاريخ حكمه. برغم ما واجه من المشاق والعوائق الكبيرة. متميز.[1]

لقد جاءت الخلافة للإمام علي ‹عليه السلام› في ظروف بالغة الخطورة والتعقيد فذوو النفوذ من الناس قد ألفوا الاستئثار واستراحوا إليه وليس يسيرًا أبدًا أن يذعنوا لأية محاولة إصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم إن المطامع قد تنبهت لدى الكثير من الرجال بعد أن تحولت الخلافة مغنمًا لا مسؤولية لإقامة القسط في الأمة. ولقد كان الإمام ‹عليه السلام› مدركًا لحقيقة الموقف بدقائقه وخفاياه بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين أجمعت الأمة على بيعته بعد مقتل عثمان قائلًا: "دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت".

وبعد إصرار من الجميع قبل الإمام بشروط، ومما قال: «**وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ**»[2].

وقد كانت أول مهام الإمام أن يجسد العدالة الاجتماعية في دنيا الناس ويمنح المنهج الإسلامي فرصة البناء والتغيير على شتى الأصعدة. ومن جمل الإصلاحات التي قام بها:

- استرجاع الأموال التي تصرف بها بنو أمية من بيت مال المسلمين.
- قام بعزل الولاة الذين أساؤوا التصرف وخالفوا أمر الله تعالى وتخطوا نهجه الأقوم الذي ارتضاه لعباده.

---

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.
(٢) نهج البلاغة ج١ ص ١٣٦.

- تبنى سياسة المساواة في توزيع المال والحقوق. وكان يقول: «**المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد**».

«**ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المرققة إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا**».

وكان يقول:

«**واللّه لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ**».[1]

وكان منهج علي في العدل هو منهج الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بالذات. كان يقول: «**وَاللّه لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟!... وَاللّه لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى..**

وَايْمُ اللّه لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا».[2]

على أن تعاهد أمر الأمة من لدن علي ‹عليه السلام› ليس محصورًا في إطار المال وتوزيعه وإنما يمتد لكي يشعر الإنسان بكرامته ويعد وعيه في الحياة الحرة الكريمة ويعلمه أن يتمرد على الظلم والكبت وكان يقول: «**وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللّهُ حُرًّا**»[3].

---

(١) نهج البلاغة ج ١ص ٥٧.
(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ٣٤٧.
(٣) نهج البلاغة ٢/ ٤٠٢.

وكان يقول: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ»[1] وتمتد ظلال العدالة في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) فيرعي أسواقهم من ناحية المكاييل والمعروض من السلع وطبيعة المعاملات فيها فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه فيرشد الضال ويهدي المقصر إلى طريق الحق ويأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر.

أمير المؤمنين يجسد العدل قولا وعملا

وقد كان الإمام حريصًا على إلزام ولاته وقضاته وقادة جيوشه وجباة الأموال بالتزام العدل في معاملة الناس وتحري الحق في الحكم والقضاء وإعطاء الحقوق وفي جمع المال حتى في حالات الحرب وسواها.

ومن وصية له (عليه السلام) لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة: «سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.»[2]

وكان يوجه ولاته بتحري العدل والإنصاف ومن ذلك ما ورد في عهده لمالك الأشتر:

«أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ، وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ

(١) نهج البلاغة ١/ ٢٣٦.
(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٦٥.

إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلحَافِ وَأَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ».[1]

وكان يشدد على جنوده في حالات الحرب بألا يبدؤُوا بقتال العدو حتى يبدأهم بالحرب ولا يقتلوا من ولى دبره عن قتالهم ولا يقتلوا الجريح ومن عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب ولا يؤذوا النساء بشيء حتى وإن بدأن بسب أو شتم.

أرأيت عدلًا رفيعًا كهذا العدل؟ بل هل حدثك التاريخ الإنساني عن رجل يحب الخير حتى لخصومه الذين ناصبوه العداء؟ إنه علي صاحب القلب الكبير الذي شمل الناس بحب غامر فبسط لهم العدل في حياتهم وأشعرهم بحقيقة الكرامة الإنسانية ووفر لهم غطاء من الأمن والاستقرار في جو الشعور بالمساواة والحياة الحرة الكريمة.

وفي وصايا الإمام علي‹عليه السلام› لجيوشه وجباة المال والولاة مؤشرات أخرى على التزامه لمنهاج اللاعدوان على أحد كائنًا من كان.

واسمع عليًا أمير المؤمنين ‹عليه السلام› وهو ينص في عهده لمالك الأشتر على وجوب التزام الرفق بالناس وعدم التعامل بأي لون من ألوان البغي والتعالي على الناس وغمط حقوقهم المفروضة في شرع الله العظيم: «**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالخَطَإِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ**».[2] ولم

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٢٩.
(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٢٧.

يكن منهاج علي ‹عليه السلام› هذا خاصًّا بأهل مصر وإنما هو منهاجه الشامل لكل البلاد التي رفرفت راية دولته الكريمة عليها. ولقد كان الإمام ‹عليه السلام› يعهد إلى ولاته في الأمصار مثل الذي عهده إلى مالك الأشتر في وجوب إشاعة العدل والرفق بالناس وعدم البغي عليهم بحال من الأحوال أو معاملتهم بأي لون من ألوان الظلم.

❊❊❊

مكانته العظيمة وبعض ما ورد فيه

الامتداد الحقيقي للإسلام

أما عندما نأتي إلى منزلته في الإسلام فلم يكن حاله مؤمنًا عاديًا كأي مؤمن في دائرة المؤمنين، له موقعٌ متميز الذي نعرفه من خلال ما قاله الرسول بعد ما نعرف من خلال أعماله سلوكياته مواقفه العظيمة والمتميزة، تميزه في سلوكه في روحيته في مواقفه في أعماله في سبقه في فضائله فيما كان عليه من صفات وأخلاق عظيمة ثم فيما قاله الرسول ‹صلى الله عليه وآله وسلم› عنه، منزلته تحددت في قول الرسول ‹صلى الله عليه وآله وسلم› يخاطبه: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» فالنبوة اختتمت بخاتم الأنبياء محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لكن المنزلة المتميزة والفريدة التي كانت لهارون من موسى هي لعلي من محمد هذه منزلته وهذا مقامه وهذا ما قاله الرسول نفسه ليس استنتاجًا ولا احتجاجًا مذهبيًا.

فالإمام علي ‹عليه السلام› من خلال هذه المنزلة وفي هذا الموقع وبهذا المستوى كان يمثل الامتداد الحقيقي للإسلام المحمدي الأصيل، الرسول ‹صلى الله عليه وآله وسلم› قال عنه: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي**» قال عنه: «**علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار**» فهو يمثل في مسيرة الإسلام امتدادًا صافيًا حقيقيًا للإسلام المحمدي الأصيل والنموذج الراقي المتكامل الحقيقي للمسلم للمؤمن يقتدى به ويتأسى به وهو يقدم النموذج الراقي المتميز في مدرسة الرسول ومدرسة الإسلام الكبرى.[1]

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.

علي هو الشاهد لعظمة رسول اللّه ودينه

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

الإمام علي ‹عليه السلام› بمؤهلاته وكمالاته وبأعماله ومواصفاته العالية كان على هذا النحو الذي أصبح فيه فعلًا - وهذه نقطة مهمة يجب أن نتفهمها - شاهدًا لرسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›؛ لأنه في علي ‹عليه السلام› نزل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[هود: ١٧].

الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› كان يتحرك على بينة من ربه، وعلي ‹عليه السلام› كان هو الشاهد لرسول الله، هو الشاهد من نفس رسول الله؛ لذا قال عنه ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في مقام آخر: «أنت مني وأنا منك» «علي مني وأنا من علي»، وجاء القرآن الكريم ليؤكد ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] فجاء بنفسه ونفس علي بعبارة واحدة ﴿أنفسنا﴾.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ هل الشهادة هذه هي فقط تقتصر بأن يشهد - لما رآه من هذه المعجزة أو تلك المعجزة - أن محمدًا نبي صادق؟! هذه شهد بها حتى المشركون في قرارات أنفسهم ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

ما هي شهادة علي للرسول ‹صلوات اللّه عليه وعلى آله›؟

إنها شهادة على مدى سنين، شهادة أداها في مواقفه، شهادة أدّاها في حياته كلها، أنت تريد أن تعرف عظمة هذا الإسلام، إذا كان هناك أي نظرية - كما يقولون - لا يمكن أن تعرف عظمتها إلا عندما ترى ما تصنعه، ما تقدمه من أثر، ترى نماذج ممن يحملون أفكار تلك النظرية، ثقافة تلك النظرية، توجُّهات تلك النظرية، فتراهم كيف هم، هنا تحكم على تلك النظرية عندما كانوا يجسدونها بنسبة مائة في المائة.

لقد عَدّ كثير من الكُتّاب ومن العلماء قالوا عن علي أنه كان معجزة للرسول من هذا الاتجاه.

لأنه ما يُدرينا أن هذا الدين عظيم في واقعه؟ هو دين يخاطبنا، دين يتحدث مع أنفسنا، مع وُجداننا، دين له رؤيته في تقديم نموذج للإنسان يريد أن يقدمه، كيف ذلك النموذج الذي سيقدمه الإسلام فعلًا لمن يسير عليه؟ ارجع إلى علي وستعرف ذلك النموذج، الذي لم يبهر فقط المسلمين، بل بهر أيضًا المسيحيين فكتب عنه كُتّاب مسيحيون أُعجِبوا بعظمته، أُعجبوا بمصداقيته، اعتبروه عبقريًا، عظيمًا، اعتبروه مثلًا أعلى حتى من غير المسلمين.

عندما ترجع إلى علي ‹عليه السلام› في رؤيته، في مواقفه، في ممارساته، في سلوكياته تجده فعلًا نموذجًا للشخصية العظيمة التي يمكن أن يصنعها هذا الدين الذي جاء به محمد ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، فهو شاهد لهذا الدين: أنه دين كامل، من إله كامل، اصطفى لتبليغه رسولًا كاملًا، هو الله سبحانه وتعالى الذي قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

دين كامل، رسول الله، الله اصطفاه وأكمله، هو من قدم هذا الدين كرسول له. نريد أن نرى في الساحة نموذجًا صادقًا يشهد لعظمة هذا الدين؟ ارجع إلى علي ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ في مواقف علي عندما ترجع إليها تجد عظمة الإسلام، تجد أخلاق الإسلام متجسدة، وهذه لها أثرها في النفوس،كل شيء سيبقى نظرية، كل شيء سيبقى خاضعًا للاحتمالات إذا لم يكن هناك على صعيد الواقع ما يشهد لصحته، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[فصلت: ٥٣].

كما تأتي الشواهد في الأحداث، في المتغيرات تشهد لهذا الدين، وهو حق لا شك فيه لكن كمنهجية تربوية لهذا الإنسان، لينطلق إلى أعماق مشاعر هذا الإنسان، ويفرض عظمته على هذا الإنسان من خلال الأحداث، من خلال الآيات، من خلال ما يُقدمه من نماذج، فعلى مستوى الإنسان ارجع إلى علي ‹عليه السلام› إنه شاهد على أنه حق، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣] وكفى به شهيدًا.

ولكن من أجلنا نحن بني البشر الذين قال عنهم: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾[الكهف: ٥٤] ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[عبس:١٧] إلى آخر ما وصل به هذا

الإنسان عندما يتجه إلى العناد؛ فمن أجل رحمة الله به، من أجل لطف الله به، من أجل رأفة الله به يُقَدِّم له الشواهد في مختلف المجالات على عظمة ما قدمه له من منهج، على عظمة هذا الدين الذي أكمله له، وأتم به النعمة عليه به، ورضيه دينًا يدين به أمام مولاه سبحانه وتعالى.

عندما تأتي إلى رؤية علي ‹عليه السلام› تجد فيه شاهدًا، رؤيته للحياة، رؤيته للإنسان؛ لذا جمع في نهج البلاغة ما قال عنه الكثير: «بأن عليًا ‹عليه السلام› برز عالمًا فيلسوفًا بل قدوة في كل هذه الاتجاهات فبرز كعالم اجتماع، عالم اقتصاد، عالم نفس، مرشد، معلم في كل الاتجاهات، برز ذلك الشخص عظيمًا يقدم رؤية حقيقية وواقعية للحياة».

حتى وهو يتحرك في مواجهة أعدائه، وهو يتحرك مع من ينضوون تحت لوائه كان يحذرهم، كان ينذرهم، كان يعطيهم رؤى، كان يذكرهم بأشياء عرفوا من بعد صحتها، عرفوا صحتها بل مر الكثير منهم بها وعايشوها،كان يقول لأهل العراق: «**والله إني لأخشى أن يُدَال هؤلاء القوم منكم لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم**».

في هذه العبارة تجد رؤية حقيقية، رؤية واقعية، رؤية صحيحة لدى الإمام علي ‹عليه السلام› في النتائج، في المسببات، ما خلفياتها؟ ما أسبابها؟.[1]

الإمام علي القائد والقدوة

لقد كان علي ‹عليه السلام› بما حظي به من تأهيل إلهي وتربية نبوية، وإيمان صادق وشخصية فذة ومؤهلات فريدة ومواقف شجاعة وتضحيات أضاء بها تاريخ الأمة الإسلامية كل هذه وغيرها من الأمور جعلت الإمام عليًا ‹عليه السلام› المؤهل الوحيد لوصاية رسول رب العالمين وخلافة المسلمين وإمرة المؤمنين والقدوة والقائد لهم في كل شيء بعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.

وقد انطوى القرآن الكريم وأقوال النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› على كثير من النصوص والروايات التي بينت مكانة هذا الرجل العظيم وكماله وتأهيله

(١) محاضرة السيد حسين في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.

وتنطق كلها بتنصيب الإمام علي أميرًا للمؤمنين ووصيًا لرسول رب العالمين باعتباره الرجل الكامل والمؤهل لهذه المهمة وتوجب على الناس سلوك سبيله وتوليه وتقدم توليه بأنه امتداد لتولي الله ورسوله.

صفات تمتع بها الإمام علي ‹عليه السلام› أشاد الله سبحانه وتعالى بها في كتابه العزيز وخلدها وأكدها النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› على لسانه في أكثر من موطن وهي صفات عظيمة وفضائل جليلة ومن يتأملها يجد:

١- أنها لم تكن مجرد أوسمة ليس لها واقع من حياة الإمام علي - عليه السلام - وسيرته العطرة فمن يقرأ سيرة الإمام ومسيرته الجهادية مع معلمه ومربيه وقائده وقدوته رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يجد بأنها كانت صفات وفضائل تحكي مواقف منسجمة مع هذه الفضائل، فالمواقف التي جسدها الإمام علي قولًا وفعلًا وسلوكًا هي مواقف تستحق أن تخلد وتكتب على صفحات كتاب الله العزيز وينطق بها أعظم الأنبياء وخاتمهم.

٢- كما أنها أيضًا تمثل مقاييس ومعايير ومواصفات تبين للناس مستوى أهلية الإمام علي - عليه السلام - لقيادة الأمة وتحمل هذه المسؤولية العظيمة التي تتطلب رجلًا لديه الجدارة ببناء هذه الأمة وتربيتها وتأهيلها والارتقاء بها وقيادتها في مواجهة أعدائها.

٣- كما أنها مواصفات ومعايير ترسم منهجًا للأمة إلى يوم القيامة تعرف من خلالها أن من يتحلى بمثل هذه المواصفات والمعايير هو الجدير بولاية أمرها وقيادتها والارتقاء بها لتكون أمة رائدة أمة تسود الدنيا كلها أمة قادرة على مواجهة أمواج الفتن العاتية والوصول بها إلى بر الأمان.

بعض ما ورد في أهل البيت وفي مقدمتهم الإمام علي ‹عليه السلام›

١- آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣] فقد جمع رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› عليًا وفاطمة والحسن والحسين تحت ثوب وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.[1]

(١) أخرجه مسلم في فضائل الحسن والحسين ١٥/ ١٩٤.

٢- آية المودة: ﴿قُل لَّا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى:٢٣] لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال علي وفاطمة وأبناءهما.(١)

٣- آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١].

أجمع المفسرون على أن النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› عندما أراد مباهلة نصارى نجران دعا عليًا وفاطمة والحسن والحسين ‹عليهما السلام› للمباهلة وذكروا بأن المراد بنسائنا فاطمة وأبنائنا الحسن والحسين وأنفسنا الإمام علي ‹عليه السلام›.(٢)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد٧] لما نزلت هذه الآية أومى رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› إلى علي فقال: «**أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي**».(٣)

٤- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] هذه الآية المباركة المشهور فيها أنها نزلت في الإمام علي (عليه السلام) عندما تصدق بخاتمه وهو راكع بعد أن دخل فقير يسأل ولم يعطه...(٤)

---

(١) فرائد السمطين ج٢ص١٣، ومناقب ابن المغازلي ص١٩١، وشواهد التنزيل ص١٣٧، انظر (الغارة السريعة ص٤٤٢).

(٢) من أولئك الزمخشري،تفسير الكشّاف، سورة آل عمران،الآية ٦١. وكذا جاء في تفسير الثعالبي عن مجاهد والكلبي: ويُطلق لفظ أصحاب الكساء على الّذين اجتمعوا مع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت كسائه ونزلت فيهم آية التطهير، وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين. وتفسير الرازي ٢٤٧/٣. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب. والترمذي ٦٣٨/٥. ومسند أحمد ١٨٥/١. وغيرهم.

(٣) ابن جرير في تفسيره، وابن كثير في تفسيره ١٢٢/٤، والحاكم في المستدرك، وتاريخ ابن عساكر، والحاكم الحسكاني، وتفسير الطبري ١٦/٢٥ ، وفتح القدير ٥٣٧/٤، وغيرها من التفاسير، للمزيد اقرأ: (الغارة السريعة ص ٣٥٤) للسيد بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه.

(٤) ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ١٢٩، وابن جرير في تفسيره، والخطيب البغدادي في تاريخه ج١ ص ٢٨٦، والحاكم الحسكاني من عدة طرق، وابن المغازلي في المناقب ص١٩٣.

هذه الآية لها دلالات مهمة جدًا قدمت بجلاء الروحية العظيمة التي كان يتمتع بها الإمام علي - عليه السلام - روحية الاهتمام بأمر المحتاجين، نفسية رحيمة، ونفسية تهتم بالناس، تهتم بمن تعرفهم ومن لم تعرفهم.. وسنقف مع دلالات هذه الآية الكريمة في مكانها المناسب من هذا الكتاب.

وغير ذلك من الآيات التي سنتعرض لبعضها خلال بحثنا هذا.

ومما ورد من الأحاديث النبوية في فضل الإمام علي ‹عليه السلام› نورد قليلا من كثير:

- قوله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› لعلي ‹عليه السلام›: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**».[1]
- وقوله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها**»[2].
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نظر النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› إلى علي فقال: «**يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله والويل لمن أبغضك بعدي**»[3].
- عن سلمان - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «**من أحب عليًّا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني.**»[4]
- عن النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› أنه قال لعلي: «**أنت مني وأنا منك**»[5].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك٣/١٢٤، وصححه وأقره الذهبي، وأخرجه الإمام أبو طالب في الأمالي: ٥٥ عن أم سلمة، وأخرجه محمد بن سليمان الكوفي صاحب الإمام الهادي ‹عليه السلام› في آخر كتاب المناقب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/١٢٦وقال:هذا حديث صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٢٨ وصححه على شرط الشيخين ، واعترف في تلخيصه بأن رواته ثقات.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٠ وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وأخرج الحاكم مثله عن الإمام علي في ٣/ ١٤٢، وصححه وأقره الذهبي، وأخرج المرشد بالله في الأمالي ٥، ١٣٦ نحوه.

(٥) أخرجه البخاري في كتابه المسمى صحيح البخاري في حديث عمرة القضاء ٥/ ٨٥.

- وقوله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في المؤاخاة: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».[١]
- وقوله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في حديث الطير: «اللهم أتني بأحب خلقك إليك» فكان الإمام علي ‹عليه السلام›.[٢]
- وقوله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› لعلي ‹عليه السلام›: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».[٣]
- وقوله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: «يا علي تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»[٤].
- وقوله (صلوات الله عليه وعلى آله) قبل فتح خيبر وبعد أن عجز عن فتحها أبو بكر وعمر فما كان من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إلا أن دعا عليًا لفتحها بعد أن منحه هذا الوسام الرفيع الذي يليق به وبما يتحلى به: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه»[٥].

ما هي دلالات هذه الأحاديث؟

وهنا نتحدث عن دلالة بعض ما ورد من الأحاديث الكثيرة والصحيحة لدى الأمة لتكون مقياسًا لما تبقى من الأحاديث لنعرف بأنها لم تكن عبارة عن فضائل فحسب وإنما أراد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يرسم المنهج القويم لأمته من بعده من خلال هذا الرجل العظيم.

---

(١) لوامع الأنوار ١/٤٦٨.

(٢) الخطيب البغدادي ج٩ ص ٣٦٩، والترمذي في جامعه، وابن المغازلي في المناقب، وابن كثير في البداية والنهاية، والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٣٠، والذهبي في تاريخ الإسلام ج٢ص١٩٧، وللمزيد انظر الغارة السريعة ص ٤٠٠.

(٣) الترمذي ٣ / ١٧٧ ط. الصاوي مصر. وخصائص النسائي: ٢٧ ط. التقدم مصر. ومعرفة علوم الحديث للحاكم: ١٨٠ ط. القاهرة. وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ٢٧ / ٨١،ح ٢١. (من كتاب تحرير الأفكار).

(٤) لوامع الأنوار ج ١ ص ٤٣٨.

(٥) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) لعام ١٤٣٣هـ

حديث الراية

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي مشيرًا إلى بعض دلالات حديث«**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه**»:

«الإمام علي بمؤهلاته التي كانت معروفة ومشهورة وتحدث عنها النبي - صلوات الله عليه وعلى آله - في مقامات متعددة، منها في مقام خيبر عندما قال - صلى الله عليه وعلى آله -: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار يفتح الله على يديه**». تجلى في ذلك المقام مستوى أهلية الإمام علي - عليه السلام - لتلك المسؤولية العظيمة، رجلًا في مستوى المسؤولية، رجلًا لديه الجدار لبناء هذه الأمة بالارتقاء بها، بتعليمها، بقيادتها في مواجهة أعدائها مهما كانوا ومهما كانت إمكانياتهم، لديه هذا المستوى العالي من الإيمان، منزلةٌ، عظيمةٌ، ساميةٌ، رفيعةٌ عند الله العظيم (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) هذا الرجل العظيم الذي يحبه الله ورسوله أليس جديرًا منا بالمحبة.؟ أليس جديرًا منا بأن نتولاه.؟ أليس جديرًا بالمقام العظيم في قيادة الأمة وهداية الأمة. [1]

حديث (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)

يقول السيد عبد الملك حفظه الله حول هذا الحديث: النبي ‹صلوات الله عليه وآله› قال نصًّا مهمًّا جدًّا نصًّا موجودًا في تراث الأمة كلها قال: «**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**». لا يحب عليًّا إلا مؤمن وهذا له دلالات ذات أهمية كبيرة: أولًا هو شهادة بكمال إيمان علي ومستواه الإيماني العظيم «**لا يحب عليًّا إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق**» في مقامه الإيماني العظيم لا يمكن أن يحبه إلا مؤمن هذا النص الذي هو شهادة بكمال إيمان علي ورمزيته لكل مؤمن ولكل مؤمن ارتباط بالإمام علي ‹عليه السلام› قائم على أساس المحبة الصادقة المحبة التي فيها اقتداء بعلي التقاء بعلي في مقام العمل التقاء بعلي في مقام القيم التقاء بعلي في المسار الإيماني كله، لا يحب عليًّا إلا مؤمن لأن المؤمن يحب كل تلك القيم ويرتبط بكل

(١) خطاب الغدير لعام ١٤٣٣هـ.

تلك المبادئ التي جسدها علي على أرقى مستوى والتي كان هو السباق إليها.

فحب علي علامة فارقة لأنه هناك صناعة للزيف باسم الإيمان وهناك الكثير من الناس يتحركون باسم الإيمان وتحت عناوين الإيمان عناوين إيمانية ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

«ولا يبغضه إلا منافق» ما الذي يمكن أن يجعل الإنسان يبغض عليًّا؟ هل كان علي فيما كان عليه من قيم ومبادئ وأخلاق وفيما يقول وفيما يعلم هل كان في واقعه شيء يجعل الإنسان يبغضه؟ الإمام علي ‹عليه السلام› جسد في واقع حياته وفي تحركه قيم الإيمان والإسلام على أرقى مستوى وكان مع القرآن والقرآن معه وكان مع الحق والحق معه فما الذي يجعل الإنسان يستاء من علي ويكره عليًّا ويبغض عليًّا ويناوئه ويتحرك ضد الإمام علي بأسلوب ولو بمسعى للحط من مكانته والتصغير من قدره والتصغير من مقامه ومنزلته؟ النفاق النفاق هو الذي يجعل البعض يصطدمون بعلي ولا يتفقون معه بحال، النفاق هو الذي حرك البعض في عصره مبغضين له مناوئين له مستهدفين له وعمدوا إلى القضاء عليه ومن بعد عصره كذلك بقي على مر التاريخ وإلى زمننا هذا من هو مبغض لعلي ومستاء من علي ويمتعض ويتألم ويغضب وينفر عندما يسمعك تتحدث عن علي ولا يرغب أصلا أن يكون هناك أي حديث عن علي لا يعجبه، يستاء، لماذا؟ منافق «ولا يبغضه إلا منافق» المنافق يحمل في قلبه كل الاستياء من علي، الاستياء من علي بما كان عليه من مواقف بما كان له من دور متميز وعظيم في إقامة الإسلام ومواجهة قوى الكفر أولًا وقوى النفاق العامدة إلى مسخ هوية الإسلام وتحريف مفاهيمه ثانيًا، ولا يزال المنافقون والمستبدون والطغاة والمجرمون وكل الفئات الضالة المنحرفة لا تزال ترى في علي خطرًا عليها حتى الآن، خطرًا في فكره ثقافته أخلاقه قيمه سيرته، وترى أن تأثر الأمة به يمثل خطورة عليها؛ ولذلك نرى تغييبًا ومحاربة كبيرة لأن يكون لعلي ‹عليه السلام› ما يستحق من المقام والذكر في سيرته في جهاده في إيمانه كرمز عظيم من رموز الإسلام سواء في المناهج الدراسية في الجامعات أو من خلال الأنشطة التثقيفية والتعليمية عند الكثير.[1]

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٤هـ

فمن يعرف أهمية هذه الأحاديث وما تهدي إليه وما تفيده وتدل عليه لا يسعه إلا أن يستلهم من الإمام علي ‹عليه السلام› الرؤى الحكيمة، التوجيهات الحكيمة في مختلف الميادين، في مختلف المجالات.

وما ذكرناه من الأحاديث هي غيض من فيض من النصوص الإسلامية والمجمع على صحتها في الإمام علي ‹عليه السلام›.

إعلان ولاية الإمام علي (عليه السلام)

ظل النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) طوال حياته يعمل على تأهيل الإمام علي (عليه السلام) وتقديمه علمًا وقائدًا وقدوة ليواصل مسيرة الرسالة من بعده وأثبت الإمام علي (عليه السلام) بمواقفه العظيمة أهليته لهذه المهمة وعرف لدى الجميع بأنه أكمل إنسان بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأنه الأجدر لحمل هذه المسؤولية.. ومع هذا كله يتوج النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ذلك كله بإعلان ولاية الإمام علي (عليه السلام) على أمته وبطريقة رسمية معلنة.

ففي ظهيرة يوم الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة تم تنصيبه لهذا المقام العظيم وليًا للمؤمنين من بعده وبطريقة رسمية وعلى رؤوس الأشهاد، بعد أن أعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بأمر الله تعالى ورتب لتنصيب الإمام علي في مراسيم خاصة واحتفالية كبرى تليق بهذه المناسبة المهمة والكبيرة وتجعلها خالدة في ذاكرة التاريخ والأجيال.

حجة الوداع

النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يعلن في جميع ا لأقطار الإسلامية بأنه سيحج هذا العام وأن الدعوة عامة للجميع ليحجوا مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويتعلموا منه عمليًا مناسك هذه الفريضة العظيمة وأهدافها المهمة ولم يخف على الجميع بأنها ستكون حجة الوداع بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مما جعل الإقبال كبيرًا حيث أقبلت أفواج المسلمين من كل مكان ليبلوا دعوة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وينالوا شرف الحج معه إذ أنها فرصة

لن تتكرر أبدًا ويذكر بعض المؤرخين إلى أن عدد الحجاج بلغوا مائة وعشرين ألفًا وهو رقم كبير لم تشهد مثله الجزيرة العربية.

وأدى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه الفريضة العظيمة مع هذه الجموع الغفيرة وحرص (صلوات الله عليه وعلى آله) على أن يقدم هذه الفريضة بأبعادها وما ترمي إليه وأن يهيئهم للسمع والطاعة والتسليم بكل ما يأتي من عند الله وأن يعرفهم بمسؤوليتهم التي اختارهم الله لأدائها وأنها رسالة عالمية إلى قيام الساعة وأن المطلوب هو أن تكون هذه الأمة أمة قوامين بالقسط شهداء على الناس.

في طريق العودة من حجة الوداع

يعود النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) بعد أن قضى مناسك الحج وتهيئة نفسيات المسلمين لتقديم الحدث الأبرز الذي ستعرف الأمة من خلاله المسار السياسي لها ومن هو الذي سيحكمها من بعد رسولها ويلي أمرها ليس من بعد موته فقط وإنما إلى قيام الساعة وبالشكل الذي يشكل ضمانة للأمة من أي اختلاف أو تنازع وبالذات أنها قضية تشرئب إليها أعناق الكثير من محبي السلطة وما أكثرهم وبالذات أن الأمة الإسلامية أصبحت مسيطرة على معظم الجزيرة العربية ويدين لها الناس بالولاء والطاعة.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يعود من حجة الوداع من السنة العاشرة للهجرة ومعه عشرات الآلاف من جموع المسلمين يتوقف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في وادي (خُم) – وهي منطقة بين مكة والمدينة وأقرب ما تكون إلى مكة – بعد أن نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٦٧].

مع هذه التوجيهات الصارمة التي وردت في الآية الكريمة تسمر النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في مكان نزولها ولم يستجز أن يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام وبادر إلى وضع الترتيبات اللازمة والمناسبة لإعلان هذا الأمر الإلهي ولاية الإمام علي (عليه السلام) ببيان كامل وبوضوح تام بما يتناسب ولهجة هذه الآية وبما يليق بهذا الحدث المهم الذي سيكمل الله به دينه لعباده ويتم به نعمته عليهم.

وقبل أن نورد تلك الترتيبات المهمة لا بد أن نقف قليلًا أمام هذه الآية الكريمة لنتساءل أين تقع هذه الآية؟ أليست في سورة المائدة التي هي من آخر السور نزولًا وقد بلغ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الرسالات؟ ألم يكن قد بلغ الرسالات كلها؟ في هذه المرحلة قد عرف التوحيد لله، وعرفت العبادات، وعرف الجهاد، وعرفت تقريبًا معظم الأشياء.

هذه الآية المشهور فيما يتعلق بها أنها نزلت في شأن ولاية الإمام علي (عليه السلام) في (يوم الغدير) كما روى الإمام الهادي (عليه السلام) ويذكر (سلام الله عليه) أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لم يستجز أن يتقدم خطوة واحدة على موقع نزولها؛ لأن عبارتها هنا عبارة هامة، عبارة قوية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ إن لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك -قضية معينة - فكأنك لم تعمل شيئًا، فكأنك لم تبلغ شيئًا، أليس هذا يدل على أنها قضية هامة جدًا؟.

الآية هذه نفسها توضح لنا ما هي القضية؟ القرآن كتاب أحكمت آياته، من نفس الآيات تعرف أنها قضية لن تكون إلا القضية التي عادة الناس يتنافسون فيها، وتتطلع إليها نفوس الكثير ممن يعشقون السلطة، قضية ولاية الأمر.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد بلّغ التوحيد، أليس التوحيد لله أكبر قضية؟ بلّغه، إذًا بالتأكيد ليست هذه قضية التوحيد.

هنا: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ألم يقل: والله يعصمك من الناس؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. بلغ الصلاة، هل ما يزال يحتاج بالنسبة لتبليغ الصلاة إلى عبارات كهذه؟ بلغ الصيام، بلغ الزكاة، الحج، الجهاد، المواريث، الأحكام المتعددة في مختلف القضايا بلغها.

إذًا ما هي القضية المهمة التي يبدو وكأن الرسالة كلها مرتبطة بها؟ يعني: إذا لم تكن قائمة فإن الرسالة هذه كلها لا فاعلية لها، تفرغ من مضمونها، أن الرسالة كلها تفرغ من مضمونها.

عندما يقول: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أليس هنا فكأنك لم تبلغ؟ أي: معناه أن ما بلغته يفرغ من معناه فكأنه لا معنى له، هذا يعني: أن ولاية أمر

الأمة. على أساس القرآن الكريم. تشكل ضمانة أساسية لمسيرة الدين، واستقامة الدين، استقامة الدين، واستقامة الحياة كلها.

ما هي القضية الخطيرة التي نرى بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بحاجة إلى أن يقال له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ بلغ التوحيد وفي ظروف قاسية، وكان يحتاج في نفس الوقت إلى حراسة وهو في مكة، وهو أيضًا في المدينة كان يحتاج إلى حراسة، بلغ كل الأشياء، لا نعلم بأن هناك قضية يبدو أنه كان يتخوف من تبليغها، أو قضية قد يرى بأنها حساسة أن تبلغ على نحو حاسم تمامًا يعني: يقفل المجالات تمامًا أمام كل من يفكر، ويتطلع للاستيلاء على السلطة، على الخلافة من بعده.

في هذه المرحلة هل كان هناك كافرون يخشاهم؟ هو لم يخشهم وهو بينهم في مكة، لم يكن يخشاهم وهو في بداية مرحلة المدينة.

نزول سورة المائدة كان في وقت قد أسلمت الجزيرة هذه، بعد الفتح، أسلمت اليمن، وأسلمت الجزيرة، وخصوصًا المنطقة هذه، أين هم الكافرون الذين قال بأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ هل يمكن من النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يتخوف عن تبليغ شيء خوفًا من الكافرين؟ واضح ماذا قال في مكة عندما عرضت عليه قريش أشياء كثيرة، ألم يقل: «**لو وضعوا الشمس في يمني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**» أليس هذا موقفا قويًا؟ ألم يتآمروا عليه في نفس الوقت؟ تآمروا عليه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ﴾ [الأنفال:٣٠].

إذًا هي في قضية ولاية الأمر بالتأكيد؛ لأن القضية حساسة، وتجلى من بعد موته (صلوات الله عليه وعلى آله) أليست هي التي تجلى فيها التلاعب، حصل أخذ ورد واجتماعات، وخلاف وشقاق، وأشياء من هذه، لم يختلفوا على صلاة، ولا على توحيد، ولا على زكاة، ولا حج، ولا شيء، ألم يكن أول ما اختلفوا عليه هذه القضية، قضية الولاية؟.

أن يقال للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يبلغها على هذا النحو أليس هذا يدل أن القضية بالغة الأهمية، أنها قضية بالغة الأهمية، وأنه إذا لم يبلغ، ويعلن - فيكون الناس جميعًا على معرفة بها، يبلِّغ في الحج قبل أن يفترق الناس إلى بلدانهم - فكأنه فرغ هذه الرسالة من محتواها، ولم يبق للدين معناه، ولن يكون لهذا الدين أثره في الحياة إذا لم تبلغ هذه.

قد يكون الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فعلًا هو يعلم بالقضية، وعمل في البداية أشياء كثيرة تبين للناس أن الإمام عليًا هو الشخص الذي يؤهله من بعده، لم يكن يؤمر عليه أحدًا، أحاديث كان يقولها مرة هنا ومرة هنا بالنسبة للإمام علي، لكن بقي الإعلان النهائي بشكل صريح على الأمة.

ربما كان يفكر ما هو الأسلوب الأنسب؟ كيف يعمل، وأشياء من هذه.. ليس إلى درجة أن يضعف، هو إنسان قوي، وإنسان لا يخشى أحدًا إلا الله، لكن أحيانًا قد يكون هو يتخوف من أشياء، فكيف تكون الطريقة المناسبة التي يمكن أن يبلغ الناس بها، ويفهموا ولا يكون هناك أي احتمالات أخرى؟.

وهنا يأتي البلاغ من جهة الله سبحانه وتعالى بهذه العبارة الهامة: أن عليك أن تبلغ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أليس هذا يوحي بأنه كان بالإمكان أن يتعرض لاغتيال، أو لاعتداء فعلا؟ من أين؟ من الكافرين أو من أين؟ من داخل! ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ الرافضين لما تبلغه، الرافضين لهذه القضية، لن يهتدوا إلى أن يضروك، لن يهتدوا.. وفعلًا لم يهتدوا، لم يتوفقوا.

إن قلنا إن الكافرين معناها: المشركين، فلا يوجد هناك مشركون في تلك الفترة، لا يوجد أحد، قد أسلموا كلهم.

فرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بلغها على أكمل صورة لأنه كان إنسانًا حكيمًا يفهم القضية، وكيف يجب أن يتعامل معها بما يليق بأهميتها، وهي القضية الهامة جدًا، والواسعة جدًا.

لاحظ كيف بلغ هذه القضية على أعلى مستوى، ألم يبلغها على أعلى مستوى؟ أوقف الناس جميعًا، ومن تقدموا أرسل إليهم أن يرجعوا، وانتظر للمتأخرين، وفي وقت حرارة الشمس، حتى لا يقول أحد بأنه لم يره؛ لأن هناك ضبابًا أو نحوه، شمس حارقة إلى درجة أنه قال أحد الرواة: "وإن أحدنا ليضع رداءه تحت قدميه وفوق رأسه من حرارة الشمس وحرارة الرمضاء".

على ماذا يدل على هذا؟ أليس ذلك يدل على أنها قضية هامة سيبلغهم بها، عندما يوقفهم هنا في هذا المكان الذي لا يوجد فيه شجرة أو حجر، حتى لا يقولوا: إنهم لم يروا النبي، فقط هناك سمرات ثلاث هي التي وقف تحتها، شجر (طَلْح) أو (قَرَض).

أعلن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لمن تقدم أن يعودوا، وانتظر في ذلك المكان حتى تكامل الجمع، وبعد ذلك رُصَّتْ له أقْتاب الإبل ليصْعَدَ عاليًا فوقها؛ لتراه تلك الأمة - إن كان ينفعها ذلك - لتراه، لتشاهده، وهي تعرفه بشخصه، لترى عليًا ويد رسول الله رافعة ليده، وهي تعرف شخص (علي)، ومن فوق تلك الأقتاب يعلن موضوعًا هامًا، يعلن قضية هامة هي قضية ولاية أمر هذه الأمة من بعده (صلوات الله عليه وعلى آله).

عندما صعد وبعد أن رفع يد علي (عليه السلام) خطب خطبة عظيمة إلى أن وصل إلى الموضوع المقصود فقال: «**يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه، اللهم وَالِ من وَالاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخْذُل من خَذَله**».

تسلسل هذا الحديث ينسجم انسجامًا كاملًا، الترتيبات التي أعلن فيها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هذا الموضوع تنسجم انسجامًا كاملًا مع لهجة تلك الآية الساخنة التي نزلت على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٦٧].

موضوع هام بالغ الأهمية، قضية خطيرة بالغة الخطورة، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يعرف ويقدر كل موضوع حق قدْره، ويعطي كل قضية أهميتها اللائقة بها.

يخاطب الناس: «**يا أيها الناس إن الله مولاي**» وهذه هي سنة الأنبياء، وخاصة مع تلك الأمم التي لا تسمع ولا تَعي، فقد قال نبي من أنبياء الله من بني إسرائيل عندما سأله قومه أن يبعث لهم مَلِكًا يقاتلون معه وتحت رايته في سبيل الله، ماذا قال؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكا﴾[البقرة: ٢٤٧] وها هنا بنفس الأداء «**إن الله مولاي**» تساوي ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكا﴾[البقرة: ٢٤٧].

ليقول للأمة: إني وأنا أبلغ عندما أقول لكم: «**فمن كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه**» إنما أبلغ عن الله، ذلك أمر الله، ذلك قضاء الله، ذلك اختيار الله، ذلك فرض الله، وذلك إكمال الله لدينه، وذلك أيضًا مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بعباده.

«إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم» هكذا من عند الله إلى عند رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولاية ممتدة، ولاية متدرِّجة لا ينفصل بعضها عن بعض.

ثم يقول: «فمن كنتُ مولاه» أليس كل مؤمن فينا يعتقد ويؤمن بأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو مولاه؟ إن كل مسلم - وليس فقط الشيعة - كل مسلم يعتقد ويؤمن بأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو مولاه. إذًا «فمن كنتُ مولاه» أيّ مسلم، أي أمة، أيّ شخص، أيّ حزب، أيّ طائفة، أيّ فئة، أي جنس من هؤلاء من هذه البشرية كلها يدين بولايتي، يدين أني أنا مولى المؤمنين «فهذا عليٌّ مولاه» «اللهم وَالِ من وَالاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخْذُل من خَذَله».

وهكذا قدمت هذه القضية المهمة للأمة بهذا الوضوح الذي لم تشهده أي قضية أخرى بدءًا بلهجة الآية ومرورًا بالترتيبات التي قدمها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) والتي تبين للأمة عظم هذه المسؤولية وخطورة التفريط فيها. ثم يختتم الله هذه المراسيم العظيمة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة: ٢][(١)].

وما أجمل ما جمعه السيد العالم الرباني المجاهد / بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه في أبيات له قال فيها:

أَحْبِبْ عَلِيًّا إذا شِئْتَ النجاةَ غدًا ... إنَّ العذابَ لَعَمْري غَيرُ مأمونِ
يكفيكَ فيهِ مِنَ الأخبارِ أشهرُها ... نَصٌّ بِخُمٍّ وتشبيهٌ بهارونِ
ويومَ خيبرَ في أخبارِهِ حُجَجٌ ... في فضلِهِ وهي مِنْ أجلى البراهينِ
إذْ أنها كشفتْ عَن طيبِ مَخْبَرِهِ ... قَطْعًا وكَمْ بينَ معلومٍ ومظنونِ
ألَا تحبُّ حبيبَ اللهِ حِبَّ رسو ... لِ اللهِ ضِدَّ أعادي الحقِّ والدينِ
وحُبُّهُ آيةُ الإيمانِ بَيِّنَةٌ ... وبُغْضُهُ صارَ مِنْ سِيما الملاعينِ

❋❋❋

(١) حديث الولاية.

بوادر التراجع

وما تركه ذلك من آثار سيئة على الأمة إلى اليوم

جيش أسامة

انطلقت الدعوة الاسلامية في أرجاء الجزيرة العربية نورًا يكتسح الظّلام، وهديًا يحطم الوثنية والطّاغوت.. واستطاع الرسول القائد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› أن ينشر الاسلام في أنحاء الجزيرة، وكان من حول الدولة الإسلامية الوليدة خطر يهدّد هذا الكيان، وهو خطر دولة الروّم في بلاد الشّام التي كانت تخطّط للإغارة على معاقل المسلمين، وإطفاء نور الإسلام، كما شرعت بقتل من آمن وأسلم في بلادها، أو في ما تناله يدها من مناطق الحدود.

لقد هاجم الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› دولة الروّم سنة ٨هـ، بإمرة جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، فكانت معركة مؤتة الخالدة في بلاد الشّام، التي استشهد فيها أمراء الجيش الثلاثة، ولم يستطع المسلمون لقلة عددهم وعدّتهم تحقيق نصر عسكري آنذاك.

وفي سنة ٩هـ، جهز الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› جيشًا لمواجهة الجيش الذي قد حشده الروّم خارج الجزيرة لاجتثاث المسلمين، وقاده هو بنفسه الطاهرة ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، فكانت غزوة (تبوك) المجيدة، والتي انتهت بالهزيمة للروم وكبريائهم.

وللمرة الثالثة اتخذ الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› قرارًا ببعث جيش لتحرير الشّام، وتحطيم الطاغوت، وصد دولة هرقل الروّم المعادية للإسلام، اتخذ هذا القرار قبل وفاته ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بأيّام، ثمّ عرض له المرض الذي توفّي فيه بعد يومين من اتخاذ القرار.

أعدّ الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› هذا الجيش وأمّر عليه أسامة بن زيد الذي كان أبوه زيد بن حارثة قد استشهد في معركة مؤتة في بلاد الشّام.. اعترض

عليه بعض ضعاف الإيمان وطلبوا من النبي أن يعين غيره، فتأذى الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› من ذلك وغضب، وأخذ يُكرر عليهم الأمر بوجوب تنفيذ جيش أسامة، ثم ردّ على المعترض بقوله: (لئن طعنتم في إمارته، قد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إنه لخليق بالإمارة، وإن أباه كان لخليقًا بها).

ولقد كان لهذا الجيش أهمية بالغة عند الرسول الكريم ‹صلوات الله عليه وعلى آله›؛ لذا فهو كرّر الأوامر مرّات عديدة بوجوب تنفيذ جيش أسامة، وأمر بالالتحاق به، ثم أمره أن يتحرك من المدينة، ويقيم خارجها في منطقة تدعى الجرف؛ ليتجهّز هناك ويتهيّأ للتحرك، وكان الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› يوصي أسامة بالسريّة، وبأن يطأ الخيل منطقة البلقاء من أرض الشّام على مقربة من مؤتة التي استشهد فيها أبوه وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ‹عليهم رضوان الله ورحمته›.

ورغم اشتداد المرض به، إلا أن رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› كان يؤكّد باستمرار على وجوب تسيير جيش أسامة وعدم التخلف عنه، فقد روي أن الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بعدما صلى آخر صلاة في المسجد وانصرف إلى منزله استدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممّن حضر بالمسجد من المسلمين، ثمّ قال: «**ألم آمركم أن تنفذوا جيش أسامة**»؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: فلم تأخّرتم عن أمري؟ قال أبو بكر: إني كنت خرجت ثمّ رجعت لأجدّد بك عهدًا. وقال عمر: يا رسول الله إني لم أخرج لأنّي لم أحب أن أسأل عنك الرّكب، فقال النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة، يكررها ثلاث مرّات.

النبي ‹صلوات اللّه عليه وعلى آله› في آخر أيامه لا يزال حريصًا على هداية الأمة.

وفي آخر ساعاته خاطب رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› مَنْ حضر عنده من أصحابه بقوله: «**ائتوني بدواة وكَتِف، لأكتُبَ لَكُم كتابًا لا تضلّوا بعدَهُ أبَدًا**» وكان في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب،فقال عمر: إنّ الرجل ليهجر، وقد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

فاختلفوا وكثر اللغط واختصموا، فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، ومنهم يقول ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف، وغم رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وقال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.

عن ابن عباس، قال: لما حضرت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الوفاة وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «**هلموا لكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده**». فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا له يكتب لكم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «**قوموا عني، فلا ينبغي عندي التنازع**»[٢٢]. فكان ابن عباس يبكي بكاء مراً ويعبر عن أساه لما حدث بقوله: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب باختلافهم ولغطهم. ولا ينبغي عند نبي تنازع. ومن هنا ظهرت بوادر التخلي

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه - معلقًا على ما جرى في مرض النبي ‹صلوات الله عليه وآله›:

"لماذا فرط المسلمون رغم ما عمله النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› من تأكيدات على خلافة الإمام علي ‹عليه السلام› والتي توّجها بهذا الإعلان الهام في يوم الولاية! المسلمون الذين فرطوا هم هم فرطوا لأنهم لم يكن إيمانهم بالله بالشكل الذي يجعلهم يلتزمون حرفيًا، إيمانًا واعيًا. هم كانوا مؤمنين بالله وبرسوله، لكن الإيمان درجات، لم يكونوا بمستوى أن يعوا من خلال القرآن، ومن خلال محمد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› عظم المسؤولية الكبرى، وكيف يكونون بمستواها، ولم يأت التقصير، لا من خلال القرآن، ولا من خلال رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› الذي هو أفصح العرب، وأنشط الأنبياء في عمله، أكثرهم نشاطًا، وأعظم البشر تبليغًا بوسائله، وبمنطقه.

عندما لم يعوا مسألة الإيمان بالشكل الذي يجعلهم يلتزمون حرفيًا بتوجيهات الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بالقرآن الكريم بدأ التفريط من أيامهم، بدأ

التفريط ورسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› على فراش الموت مريض في آخر أيامه، عندما قال: «هلم أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده» فجاء عمر مع مجموعة كبيرة داخل مجلس رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ليعارضوا بأن يقدم لرسول الله قلم ودواة، فيأمر بكتابة من يكتب ما لا تضل الأمة إن تمسكت به، فعارض عمر، وأثاروا ضجة في مكان رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وقالوا: «حسبنا كتاب الله»! لو كانوا يعرفون كتاب الله بالشكل المطلوب لكان عليهم أن يقدموا لرسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› قلمًا ودواة حتى يكتب ذلك المكتوب الذي يريد أن يكتبه، يأمر بكتابته حتى لا تضل الأمة من بعده.

لقد كان رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› كما وصفه الله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨] يهمه أمر الأمة من بعده لا تضل لا تختلف لا تتمزق لا تتفرق، لا يبرز أشخاص يضلونها يدمرونها يهلكونها، وعلى الرغم مما قد عمل في الغدير وغيره يقول: «هَلُمَّ أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده» والحمى تلهب جسمه، لكنه لا يزال يحمل اهتمامًا بأمر المسلمين بأمر الأمة يريد أن يعمل ما يمكن أن يعمله حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، أليس هذا هو يهمه أمر الأمة؟ حريص عليها مشفق عليها؟.

في مجلسه عمر ومجموعة كبيرة، يقول عمر: لا، حسبنا كتاب الله ويثير ضجة وآخرون يلتفون نحو عمر ويفهمون ماذا يريد عمر ويفهمون ماذا يمكن أن يقول رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› هم يعرفون أنه سيركز الوصية حول علي، يرمِّز علياً يشد الناس نحو علي إذًا هو سيكتبها لعلي.. لا. لا، حسبنا كتاب الله، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، دعوا الرجل فإنه يهجر.

بوادر التخلي عن المسؤولية الكبرى بدأت ورسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› كان لا يزال حيًا بكامل وعيه، وهو في آخر أيامه، مريضًا على فراش الموت

وَلمّا قَرُبَ أجلُهُ أوصى عليًا بجميع وصاياهُ، ثمّ فاضت نفسه الطاهرة في حِجْرِ عليّ ‹عليه السلام›.

اللحظات الأخيرة

كانت اللحظات الأخيرة من حياة النبي ‹صلى الله عليه وآله وسلم› وعلي عنده فرمقه بنظره وقال له: «**ياعلي، ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعال، ووجهني إلى القبلة، وتولّ أمري وصل علي أول الناس ولا تفارقني حتى تواريني في رِمْسِي واستعن بالله تعالى**».

فأخذ علي ‹عليه السلام› رأس النبي ‹صلى الله عليه وآله وسلم› فوضعه في حجره فأغمي عليه ثم قبض ‹صلى الله عليه وآله وسلم› ويد علي اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره واشتغل في أمره.

ولملمت الشمس أشلاء يومها الكئيب.. فقد صعدت روح رسول الإنسانية إلى السماء تسبح في الملكوت الأعلى، وغمر المصاب الكون بكله، وأذهل المخلصين هول الخطب وعقدت ألسنتهم مرارة الفاجعة، وتجمهروا حول بيت نبيهم تلفهم وحشه المأساة.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ..﴾[آل عمران:١٤٤] وشاع الخبر يهز الناس ويقض مضاجعهم لقد انتقل الرسول ‹صلوات الله عليه وآله› إلى الرفيق الأعلى وانشغل علي بن أبي طالب ‹عليه السلام› وعدد من بني هاشم والمهاجرين في تجهيزه بينما عشاق السلطة انطلقوا إلى سقيفة بني ساعدة بهدف الاستيلاء على السلطة.

ومن السقيفة يبدأ الانحدار

شعر الأنصار بما يدبره بعض قريش ومن يدور في فلكهم من أجل الإستيلاء على السلطة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) حيث ظهرت مؤشرات هذا التآمر واضحة والتي كان آخرها ما حدث في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)وفي مرضه الأخير حين طلب أن يقدموا له كتفاً ودواة ليكتب لهم كتاباً لن تضل الأمة بعده وما ظهرت من معارضة لكتابة هذا الكتاب أدت بالرسول أن يعزف عن كتابته نتيجة للمعارضة الشديدة من الطامعين في الاستيلاء على

السلطة والذين أدركوا ماذا يريد الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يكتب في هذا الكتاب وأنه يريد أن يشد الأمة من جديد إلى الإمام علي ‹عليه السلام› إضافة إلى ما قد مضى في يوم الغدير وغيره فترجح للأنصار بأن المسألة ربما لا تتم للإمام علي ‹عليه السلام› وكان الصواب هنا أن يلتفوا حول الإمام علي ‹عليه السلام› لتتم له المسألة ولكن بدلًا من ذلك اجتمع بعض الأنصار في سقيفة بني ساعدة، في يوم وفاة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كخطوة استباقية لاختيار أحد زعماء الأنصار، وهو سعد بن عُبادة الخزرجي أميرًا وخليفة للمسلمين بعد أن ألقى بهم خطابًا بيّن فيه فضل الأنصار، واستحقاقهم للخلافة، بقوله: «**فشدوا أيديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس وأولاهم به**»، فوافقوه على ذلك، وأجاب الحاضرون: «**أن قد وفّقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو مارأيت توليتك هذا الأمر، فأنت مقنع، ولصالح المؤمنين رضا**».

الحوار داخل السقيفة

انتشر خبر بيعة الأنصار لسعد بن عبادة، ووصل الى أبي بكر وعمر فجاءا مسرعين إلى السقيفة، وفي الطريق التقيا بأبي عبيدة بن الجراح، فأخبراه الخبر فالتحق بهما، فتوجهوا إلى السقيفة فدخلوها، فوجدوا الأنصار قد أمّروا سعد بن عُبادة، فاحتجّوا على ذلك، وجرى بينهم خلاف وجدال ونقاش شديد حول أمر الخلافة والإمارة، وكان مما قالوه: (يا معشر الأنصار، منّا رسول الله، فنحن أحقّ بمقامه).

وحين اشتد الجدل قدم أحد الأنصار حلًّا وسطًا، فاقترح أن يكون منهم أمير، ومن المهاجرين أمير، فقالوا لهم: (منّا أمير، ومنكم أمير). ثم وضّحوا سبب موقفهم هذا، بأنهم يخافون أن يستولي على قيادة المسلمين من ليس من المهاجرين، ولا من الأنصار - أي من الذين دخلوا الإسلام متأخرين بعد فتح مكة وأمثالهم - لذا قالت الأنصار: "ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منّا، ولا منكم، فلو جعلتم اليوم رجلا منّا ورجلًا منكم بايعنا، ورضينا، على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الأنصار، فاذا هلك، اخترنا آخر من المهاجرين، أبدًا ما بقيت هذه الأمة".

إلا أنّ أبا بكر رفض اقتراحهم هذا، وأراد أن تكون للأنصار الوزارة والمشورة، وجاء ردّه هذا بقوله: (فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا نفتات دونكم بمشورة، ولا تنقضي دونكم الأمور).

ثم اشتدّ الجدل بين عمر بن الخطاب وأبي بكر وأبي عُبيدة بن الجراح من جهة، والأنصار من جهة أخرى حول من الذي سيتولّى شؤون الإمارة والخلافة.

فقام أحد رجالات الأنصار، وهو الحُبَاب بن المنذر، وحث الأنصار على التمسك بالإمارة، والخلافة، وعدم التنازل عنها، وقال لهم: (فأنتم أعظم الناس نصيبًا في هذا الأمر وإن أبى القوم فمنّا أمير ومنهم أمير). فقام عمر بن الخطاب وردّ على الحُبَاب، ورفض قوله، وقال: (هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد واحد، إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم، ونبيها من غيركم، ثم قال: من ينازعنا سلطان محمد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدلّ بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة).

فقام الحُبَاب بن المنذر فردّ على خطاب عمر، ودعا الأنصار إلى التمسّك بالامارة مرة أخرى، وجاء في خطابه: (املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر).

وهكذا استمر الجدل والحوار بين الحاضرين حتى ظهر رأي آخر في الأنصار، وهو رأي البشير بن سعد، وأسيد بن حضير، وهما من زعماء الأنصار المنافسين لسعد بن عبادة إلى جانب أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، وعند ذلك قام عمر وأبو عبيدة ليبايعا أبا بكر، فسبقهما بشير الأنصاري، فبايع أبا بكر، وبايع الحاضرون، ورفض سعد بن عبادة بيعة أبي بكر، وهدد باستعمال القوة وإسقاط البيعة، ولم يبايع حتى توفّي في الشام في خلافة عمر بن الخطّاب.

تحرك المتآمرون في السقيفة وبسرعة كبيرة جداً لأخذ البيعة من المسلمين مستغلين انشغال الإمام علي عليه السلام ومن معه بتجهيز رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وإعداد مراسيم وداعه ومستفيدين من هول الصدمة بفقدان هذا الرجل العظيم وموهمين من تبقى من المسلمين بأن العملية قد تمت باتفاق الجميع. وكانوا يريدون حسم الموضوع سريعاً ليضعوا الإمام علياً عليه السلام أمام الأمر الواقع، وقد نجحوا فعلاً في هذه المؤامرة وساعدهم على ذلك التقصير

والتفريط من البعض وعدم اعطاء القضية أهمية من البعض الآخر؛ مما جعل عمر بن الخطاب يقول كلمته المعروفة (لقد كانت بيعة أبي بكر فلتة) يعني من غير مشورة، جربوا ونجحوا وتمت لهم المسألة بأكثر مما كانوا يتوقعون.

هول المفاجئة بما حدث في السقيفة

لقد جرى كل ذلك الجدل والخلاف والبيعة في السقيفة (سقيفة بني ساعدة) في حدود الحاضرين وحدهم، بينما البقية وعلى رأسهم الإمام علي ‹عليه السلام› كانوا مشغولين بتجهيز رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، وتغسيله، وتحنيطه، وتكفينه، والصلاة عليه، وحجم الكارثة التي منيت بها الأمة بفقدان رسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› أنساهم التفكير في موضوع الخلافة ومن جهة أخرى هم يعتقدون بأن قضية الخلافة قضية محسومة إلا أن المفاجئة كانت كبيرة ومخيفة عندما جاء البراء بن عازب ليخبرهم بالخبر، وما تم في السقيفة.

موقف الإمام علي والزهراء مما حصل

فاطمة بنت رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، وأُمّها أُمّ المؤمنين الكُبرى: خديجةُ بنتُ خُوَيْلد ‹رضوان الله عليها›، ولدت قبل البعثة النبوية ببضع سنوات، نشأت وتربت في حجر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومنحها من الرعاية والحب والحنان ما لم يمنحه لغيرها حتى كان يناديها دائماً (بأم أبيها) وهي زوجة الإمام عليّ بن أبي طالب ‹عليه السلام› ابنِ عَمِّ رسولِ الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› زوّجها له رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بأمر من الله سبحانه، وهي أُمُّ الحسنِ والحسينِ، وأحبُّ الناس إلى رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وأقربهم إلى قلبه، وكان يقول ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: «**فاطمةُ بَضْعَةٌ منّي، فَمَنْ أغْضَبَها أغْضَبَني**».

وهي من أهل البيت الّذين أذهبَ اللهُ عنهم الرِّجسَ وطَهّرهُم تَطْهيرًا، قدْ أنزلَ الله فيها وفي زوجها وولديها، آيات عديدة، مثلَ آية التطهيرِ، وآيةِ المباهلةِ، وآيةِ المودّةِ، وسورة الدّهرِ... إلخ. وقد عاشت بعد أبيها مدّة قصيرة.

هذه الطاهرة الزكية كان لها موقفٌ بارزٌ ومهمٌ من قضية بيعة السّقيفة والخلافة وأحداثها فكما حدّثنا المؤرّخون والرّواة الّذين نقلوا حوادث السّقيفة، وموقف فاطمة الزهراء ‹عليها السلام› منها فإنّ فاطمة ‹عليها السلام› تحركت بكل جهدها لاستنقاذ أمة أبيها والحفاظ على ما قد تحقق من منجزات وانتصارات ستكون معرضة للتلاشي إذا ولي الأمر من ليسوا بأهله ووقفت إلى جانب الإمام عليّ بن أبي طالب ‹عليه السلام›، وتحدثت مع الأنصار بعد بيعة السّقيفة، وطلبت منهم أن يُبايعوا عليًّا، باعتباره المنصوص عليه بالخلافة وحذرتهم من العواقب الوخيمة لهذه المؤامرة التي ربما لا يدركونها. فكانوا يقولون: خشينا الفتنة يا بنت رسول الله! إلا أن السيدة الزهراء الطاهرة سلام الله عليها أوجزت لهم عاقبة فعلهم هذا بقولها لهم: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[التوبة: ٤٩] هذه هي الفتنة.

وكذلك حاول الإمام علي - عليه السلام - بكل جهوده تذكير الأمة بخطورة ما يجري وعواقبه الوخيمة إلا أن المؤامرة كانت أكبر من كل تلك الجهود.

واستمرّ موقفُ فاطمةَ ‹عليها السلام› المعارضُ هذا مدّة حياتها.

معاناة الإمام علي عليه السلام

لقد عانى الإمام علي ‹عليه السلام› معاناة شديدة بدءاً بمعاناته في فراق الأحبة ورفاق الدرب وأولهم رسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› الذي فاضت نفسه الشريفة في حجر الإمام ‹عليه السلام› وواراه الثرى بنفسه وعايش مأساة فراقه بكل أبعادها وها هو يخاطب رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وهو يلي غسله وتجهيزه بكلمات حزينة تدمي القلب وتزرع الأسى: «**بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً، وَلَوْلاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا، وَقَلاَّ لَكَ! وَلَكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!**».

وإذا أعدنا إلى الأذهان ما يحظى به رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› من حب وتعظيم في نفس أمير المؤمنين ‹عليه السلام› لأدركنا حجم الأسى الذي صب

على الإمام بفقده رسول الله فعلي قد حظي بتربية الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ورعايته وإعداده ومصاحبته منذ الصبا حتى فارق رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› الدنيا.

ولقد كانت تلك التربية وتلك الأخوة بينهما مليئة بضروب الود والحنان والوفاء والإخلاص مما ليس له نظير.

وتستمر معاناة الإمام

لم يكد الإمام علي ‹عليه السلام› يمسح دموع الحزن والأسى على فراقه لرسول الرحمة والخير، ولم يكد ينفض التراب العالق بيديه بعد مواراة الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في مثواه الأخير حتى فوجئ بالمؤامرة التي عصفت بالأمة فكان يتألم عندما يرى أن تلك الجهود التي بذلها الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وبذلها هو تحت لوائه، في مكة، وفي المدينة، في معارك الإسلام، كلها معرضة لأن تصير هباء منثورًا تحت أقدام، وعلى أيدي من لم يكونوا يجرؤون في يوم من الأيام أن ينزلوا إلى ساحات الوغى لمواجهة أعداء الله.

لقد كان الإمام علي ‹عليه السلام› يخوض غمار الموت، ويقتحم الصفوف، في بدر، في أحد، في كل معارك الإسلام، بينما كان أولئك يجلسون جانبًا، وَلَيْتَهم جلسوا جانبًا من بعد ممات الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› لقد كانوا في أثناء احتدام مواجهة الكفر يجلسون جانبًا، وعندما نزل ‹صلوات الله عليه وعلى آله› إلى قبره، بل من قبل وهو لا يزال على فراش الموت بدؤوا يتحركون وينزلون إلى ساحة هذه الأمة؛ لينحرفوا بها عن نهج محمد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› الذي من أجله كان يقتحم ساحات الوغى، يقتحم الصفوف، وهو يواجه المشركين ويواجه الرومان، ويواجه اليهود، ويواجه كل أصناف أعداء الإسلام !.

هناك عبارة قالها أحد العلماء بالنسبة لعلي ‹عليه السلام›: «لو كانت الأمور تُقاس بمقاييس الدنيا لما رأينا أحدًا يُعدُّ مظلومًا أكثر مما حصل على علي من الظلم» يجاهد، يعاني، يتعب في سبيل دين هو يعلم أنه دين عظيم، وفي خير هذه الأمة، وفي مصلحة هذه الأمة، وفي عزة هذه الأمة، ثم يرى أيادي تعبث بهذا الدين.

لقد اتجه الإمام علي ‹عليه السلام› إلى تلك الأمة نفسها التي من أجلها جاهد، ومن أجلها عانى، ومن أجل عزتها تعب، يحاول أن يحركها قبل أن يَعْظُم الخَطْب، في مرحلة كان يمكن أن يتلافى فيها ما حصل لم يحصل له استجابة، حرّك الزهراء ‹صلوات الله عليها›، حرك الجانب العاطفي، ماذا عمل أولئك عندما خطبت فيهم الزهراء؟. بكوا وقالوا: إن خطوتها ما تَخْرُم خطوة رسول الله، تذكروا رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في خُطَا فاطمة، ومنطق فاطمة، ولم يتذكروا رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› فيما ذكرتهم به فاطمة!.

بكوا لغياب الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ولم يبكوا لغياب دينه، لم يبكوا لغياب الدين الذي كان الرسول مستعدًا من أجله أن يُقتل، وواجه المخاطر الشديدة من أجل هذا الدين.

فكيف لا يتألم الإمام علي ‹عليه السلام›، وكيف لا يرى نفسه مظلومًا وهو يرى الأمور تسير على هذا النحو الذي يضيع كل الجهود التي بذلها الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، وكل الجهود التي بذلها هو وبذلها عظماء آخرون من خيار صحابة رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.

لقد كان مما خاطب به الناس في تلك المرحلة الحرجة قوله:

«أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ المُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ المُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِه. فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى المُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ المَوْتِ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي! وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّه، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ!».

يقول الدكتور سعيد عاشور أستاذ التاريخ بجامعة الكويت وهو يتحدث عن صور التشويه في التاريخ الإسلامي وعند ذكره هذه الحقيقة التاريخية يقول:

"أين كان الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في ذلك الوقت؟ أين كان؟ كان مشغولًا بتجهيز الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ودفنه، وهناك تبدو فكرة السمو، السمو الخلقي، فكرة النزاهة، النزاهة وعدم التكالب وراء الحكم أو الجري

وراء منصب، كيف يترك جثمان الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ويجري ليجتمع مع المجتمعين ليطلب لنفسه شيئًا؟! هنا الخلق هنا المتانة، كان ينبغي أن يقف المؤرخ وقفةً عند هذه المسألة، عند هذه النقطة بالذات؛ فإذًا لم يكن هناك تفريط من الإمام علي - رضي الله عنه - بأي حال من الأحوال، ولكن كان هناك ما هو أهم، ما هو أسمى، الصلة التي تربطه برسول الله ‹صلى الله عليه وآله وسلم› في الوقت الذي انصرف فيه المنصرفون وتناقشوا وتحادوا واختلفوا حول الخلافة، وعن مقربةٍ منهم جثمان الرسول ‹صلى الله عليه وآله وسلم› شُغِلَ عليٌّ بن أبي طالب بتجهيزه ودفنه؛ إذًا لم يكن هناك تفريط من الإمام علي في المطالبة بحقه في الخلافة، وإذا كان الإمام علي - رضي الله عنه وكرم وجهه - قد طالب بالخلافة فينبغي أن ينزه من أنه كان يجري وراء متاع، لو كان يجري وراء متاع لانصرف من أول الأمر وكان أسبق السابقين إلى السقيفة إلى سقيفة بني ساعدة ليرفع صوته مع من رفعوا أصواتهم."

بيعة أبي بكر كانت فلتة

وهكذا تمت عملية الاستيلاء على السلطة التي تم التخطيط لها من قبل مستغلين انشغال الإمام علي ‹عليه السلام› والمخلصين من أصحاب رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في تغسيل وإعداد الجثمان الطاهر لمواراته الثرى، ففيما كان الإمام علي ومن يعرفون عظمة رسول الله منشغلين بوداع رسول الله كان هناك في سقيفة بني ساعدة من يعد نفسه ليحكم المسلمين وتمت لهم العملية بالتضليل والإرهاب وبالتعاون مع أمراض النفوس حتى إن عمر نفسه اعترف وقال: «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة» يعني هكذا (اتلفقت ومشت)، يعني لم يكن هو المؤمل فيه،ولا المتوقع لمثله هو أن تستقيم له المسألة، وكان المتوقع أن يأتي اضطراب كبير، وكان المتوقع أن يأتي أشياء كثيرة.

(فَلْتة لكن وقى الله شرها) كما قال!! هذا يدل على أن أبا بكر نفسه لم يكن هو الشخص المؤهل لأن يلي أمر الأمة؛ لأن عمر نفسه وأبو بكر نفسه كانا متخوفَيْنِ ألَّا تتم المسألة ولكن سيجربون فربما تمضي المسألة من خلال إدراكهم للناس، وفهمهم للآخرين من بني أمية والمنافقين.. فكانت فَلْتَة.

الشخص الذي يكون محط إجلال وإكبار الناس جميعًا لا تكون بيعته فلته. الإمام علي ألم يتجهوا إليه كلهم بعد ما قُتل عثمان؟ حتى كادوا يطأوا ابنه الحسن! اتجهوا كلهم إليه من بعد يبايعونه جميعًا؛ لأنه لا أحد يشك في أن علي بن أبي طالب ليس أهلًا للولاية، لكن كان عمر نفسه ممن يشك بالنسبة لأبي بكر؛ لأن الناس يعرفون بأنه ليس أهلًا للخلافة ولكن ربما تنجح المسألة.. فكانت فلته، ومشت المسألة لهم.

لكن قوله: "وقى الله شرها" ليس صحيحًا ما زال شرها إلى الآن، وما زال شر تلك البيعة التي قال "فلتة" ما زال شرها إلى الآن، وما زلنا نحن المسلمين نعاني من آثارها إلى الآن.

الأنصار كانوا أول من دفع ثمن التفريط

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه -:

"ولقد كان الأنصار في طليعة من دفعوا ثمن تفريطهم؛ لأنه كان من المفترض عليهم أن يجتمعوا مع الإمام علي ‹عليه السلام›؟ لا أن يجتمعوا هناك وَحْدَهم، ويأتمروا وحدهم خوفًا منهم أنه ربما لا تتم المسألة للإمام علي! فكان الصواب أن يذهبوا هم إلى الإمام علي ويقفوا معه حتى تتم المسألة، لا أن يقولوا: ربما لا تتم المسألة فالأحسن أن نكون قد انتبهنا لأنفسنا حتى لا يأتي آخرون فيمسكوا بزمام الأمور فيظلمونا.

لم تنفعهم هذه. ظُلموا، وأهينوا في أيام أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، ويزيد اجتاح المدينة إجتياحًا رهيبًا جدًا قتل حوالي سبعمائة شخص أو أكثر منهم، وانتهك أعراضهم ودمر بيوتهم، قضية رهيبة جدًا حصلت لهم.

هذه العواقب السيئة التي نالتهم بسبب تفريطهم وهي قضية قائمة في دين الله، هذا هدى الله هل الناس سيقبلونه؟ يجب أن يقبلوه وإلا فيجب أن يعرفوا بأن البديل هو الخزي، والعواقب السيئة في الدنيا والآخرة."

فاطمة الزهراء تلحق بأبيها

وفي خضم الأحداث المريرة التي عايشها أمير المؤمنين ‹عليه السلام› في هذه الفترة ألمت بالزهراء سيدة نساء العالمين العلة التي توفيت على أثرها فلحقت بالراحل العظيم أبيها حيث كان الإمام ‹عليه السلام› طوال فترة المرض الذي عانت منه فاطمة ‹عليها السلام› يعايش ما تعاني ملْء كيانه؛ فهي وديعة رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وهي الصابرة المحتسبة، وهي بعد ذلك زوجته الوفية التي عايشت معه آماله وآلامه طوال حياتها.

وأوصت - سلام الله عليها - قبيل وفاتها ألَّا يحضر جنازتها ولا الصلاة عليها أبو بكر ولا عمر، وشددت على الإمام علي بأن ينفّذ وصيتَها؛ فخرج علي ‹عليه السلام› مع عمار ومجموعة خاصة من أوليائه ليدفنوها في الليل ويعملون عدة قبور ليعمّوا حتى قبرها عنهم.

وفاطمة هي كما قال الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: «**هي سيدة نساء العالمين**» «**فاطمة بضعة مني يُرِيبُني ما رابها، يؤذيني ما يؤذيها، يغضبني ما يغضبها، من آذاها فقد آذاني، من أغضبها فقد أغضبني**» على اختلاف ألفاظ الحديث أو تعدد رواياته.

الإمام علي - سلام الله عليه - يرى ويشاهد هذه الزوجة الوفية بضعة رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› تُقتل كَمَدًا وقهرًا وهي ترى هذا الدين يُعصف به من أول يوم بعد وفاة والدها رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› فيزداد ألمه وحزنه.

لم تبك السيدة فاطمة ‹عليها السلام› وتتألم على مصادرتهم لما نحلها أبوها من أراضي واسعة في (فَدَك) كما يصور البعض، صحيح بأن (فدك) قضية تؤلمها لكن لم تبك عليها، ولم تمت كمدًا على فدك، إنما ماتت كمدًا وحزنًا على هذه الأمة.

رأى الإمام ‹عليه السلام› زهراء الإسلام بعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وهي تعايش مرارة الأسى على ما حصل من ضياع لدين أبيها، ثم وهي تستسلم لفراش المرض فيشحب لونها وتتردى أوضاعها الصحية يومًا بعد يوم، ثم يراها وهي تفارق الدنيا، فيباشر تغسيلها وتجهيزها ‹عليها السلام› ثم يقف على شفير قبرها مودِّعًا ولا ينسى أن يحملها رسالة إلى أبيها رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى

آلـه› بعبـارات تكشف عن ألمه وحزنه، شاكيًا إلى أخيـه ومربيه ومعلمه رسول الله ما ألم به وما يعانيه قائلًا:

«السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّه عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ! قَلَّ يَا رَسُولَ اللّه، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ.

(إِنَّا لِلّه وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ)، فَلَقَد اسْتُرْجِعَت الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَت الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ (بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا)، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الحَالَ، هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ، لاَ قَالٍ وَلاَ سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللّهُ الصَّابِرِينَ».

ابن عباس في حواره مع عمر

إن الملاحظ للتاريخ بعد وفاة رسول الله ‹صلى الله عليه وآله وسلم› سيعرف أن هناك قصدًا في تجنب الأسرة الكريمة - وخاصة علي - من هذا الشأن الذي يخصه بالدرجة الأولى حيث لم تغرب شمس ذلك اليوم حتى أُبرم الأمر وتمت البيعة لأبى بكر خليفة المسلمين وانتهت فصول السقيفة بهذا الحدث التاريخي وأعقب الحدث أمر صارم من الخليفة أو مؤيديه بأن كل من لم يبايع فمصيره القتل ولأنه كما يرى أن هذا الحكم للمصلحة العامة..

وتوالت التبريرات لموقفهم، فقد ادعوا بأن النصوص التي وردت في الإمام علي قد جمدت للمصلحة العامة! فأي مصلحة عامة هذه تقف قبالة النص الشرعي وتتقدم عليه؟!.

ولم تكن التبريرات التي ساقها القوم كافية مقنعة، وبقي السؤال يلتاع على الشفاه فترة ظامئًا إلى الجواب الشافي، حتى كان يوم أن اجتمع فيه الخليفة عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس ودار بينهما الحديث التالي:

عمر لابن عباس: أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد؟

ابن عباس - وهو يكره أن يخوض في هذا الحديث مع الخليفة -: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني..

عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتتبجحوا على قومكم بجحًا بجحًا فاختارت قريش لنفسها فأصابت ووفقت.

ابن عباس: أما قولك (فاختارت قريش لنفسها فأصابت ووفقت) فلو أن قريشًا اختارت لنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ومحسود..أما قولك (إنهم كرهوا أن تكون النبوة لنا والخلافة) فإن الله عز وجل وصف قومًا بالكراهية فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩].

عمر: هيهات: والله يا بن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء وكنت أكره أن أخبرك عنها فتزيل منزلتك عندي..

ابن عباس: وما هي؟.. فإن كانت حقًا فما ينبغي أن تزول منزلتي منك، وإن كانت باطلًا فمثلي من أماط الباطل عن نفسه..

عمر: بلغني أنك تقول إنما حذفوها حسدًا وظلمًا.

ابن عباس: أما قولك (ظلمًا) فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك (حسدًا) فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

عمر: هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدًا ما يحول، وضغنًا وغشًا ما يزول.

ابن عباس: مهلًا، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا بالحسد والغش.. فإن قلب رسوله الله ‹صلى الله عليه وآله وسلم› من بني هاشم.

عمر: إليك عني.

هذه المحاورة تكشف بوضوح الأسباب الرئيسية التي دعت القوم أن يصرفوها عن صاحبها الذي نص عليه رسول الله ‹صلى الله عليه و آله وسلم› صاحب الرسالة كراهة أن تجتمع في بيت عبد المطلب النبوة والخلافة..

ويقول الإمام علي ‹عليه السلام› مصورًا ما حدث: «حتى إذا قبض رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرحم،

وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبثوه في غير موضعه معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة».

يقول ‹عليه السلام› مخاطبًا أحد عماله ومتحدثًا عن مظلوميته: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم».

لقد امتنع أمير المؤمنين عن البيعة، وأعلن سخطه البالغ مما حدث، وقدم الأدلة والاحتجاجات على أحقيته مع علمهم أن محله من الخلافة محل القطب من الرحى ولكن دون جدوى ولم تنته المسألة هنا وإنما مورس بحقه وأهل بيته الحصار الاقتصادي مع العزل السياسي وتحمل الإمام ‹عليه السلام› كل ذلك بصبر وثبات وحكمة، واقتضت الحكمة أن يصبر الإمام علي عليه السلام كما قال عليه السلام: «وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَة عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذىً، وَفِي الحَلْقِ شَجًا».

وكيفما كان فإن حوادث السقيفة انتهت، وحملت بين طياتها سحابة قاتمة ومأساة مفجعة، ونيرانًا تستعر لهبًا مزقت المسلمين إلى اليوم وشوشت الصورة الجميلة والواضحة للإسلام.

❋❋❋

خـلاصـــة المشـهـــد

خلاصة المشهد بعد موت النبي ‹صلوت اللّه عليه وآله وسلم›

عُـزل الإمـام علي ‹عليـه السلام› عن قيـادة الأمة ما يقرب مـن خمسة وعشـرين عامًا، رغم التوجيهات الكثيرة والترتيبات التي قام بها النبي ‹صلوات اللّه عليه وعلى آلـه› حتـى يضمن أن تسير الأمور كما يريدهـا اللّه سبحانه وتعالى وكما يريدها هو ‹صلوات اللّه عليه وعلى آله› ورغم أن الإمام عليًّا ‹عليه السلام› كان المهيأ الأكفأ لها من كل الاتجاهات وبكل المقاييس إلا أن الأمة ارتكبت خطأً فادحًا بحقها وبحق الأجيال اللاحقة ما زال العالم يعيش آثاره إلى الآن.

الإمام يوضح حقيقة ما حصل

الخطبة المسماة بالشقشقية هي من خطب الإمام ‹عليه السلام› التي بين فيها بوضـوح حقيقـة ما جرى ملخصًا ما جرى منذ عهـد أبي بكر إلى أن وصل الأمر إلى عثمان والتي يقول فيها:

«أَمـا وَاللّه لَقَـدْ تَقَمَّصَهـا ابن أبي قحافـة، وَإِنَّه لَيَعْلَـمُ أَنَّ مَحَلِّـيَ منها مَحَلُّ القُطْبِ مِـنَ الرَّحَـى، يَنْحَدِرُ عَنِّـي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَـى إِلَيَّ الطَّيْـرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًـا، وَطَوَيْـتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْـتُ أَرْتَئِي بَيْـنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَـذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَـى طَخْيَـة عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيها الكَبيرُ، وَيَشِيبُ فِيهـا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فيها مُؤْمِنٌ حَتَّـى يَلْقَـى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْـرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَـرْتُ وَفي الْعَيْنِ قَذىً، وَفي الحَلْقِ شَجًا، أرى تُراثي نَهْبًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِه، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فلان بَعْدَهُ.ثم تمثل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَـا عَجَبًا!! بَيْنَا هُـوَ يَسْتَقِيلُها في حَيَاتِـه إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْـدَ وَفَاتِه ـ لَشَدَّ مَـا تَشَطَّـرَا ضَرْعَيْهَا ! ـ فَصَيَّرَهَا في حَـوْزَة خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَـا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا،

وَيَكْثُـرُ العثَارُ (فيهَا) وَالاعْتَـذَارُ منْهَا، فَصَاحبُهَا كَراكبِ الصَّعْبَـة، إنْ أَشْنَقَ لَهَا خَـرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقحَّمَ، فَمُنِـيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللّه- بِخَبْـطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّن وَاعْتِرَاض.

فَصَبَـرْتُ عَلَى طُـولِ المُدَّة، وَشدَّة الْمحْنَة، حَتَّى إذا مَضَـى لسَبِيله جَعلَهَا في جَمَاعَـة زَعَـمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ. فَيَا للّه وَللشُّورَى! مَتَـى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ منْهُـمْ، حَتَّـى صرْتُ أُقْرَنُ إلَى هذه النَّظَائر؟! لكنِّـي أَسففْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطرْتُ إذْ طَارُوا، فَصَغَى رَجُلٌ منْهُمْ لضغْنه، وَمَالَ الآخَرُ لصهْره، مَعَ هَنٍ وَهَن.

إلَـى أَنْ قَـامَ ثَالـثُ القَوْم، نَافجًا حضْنَيْـه بَيْنَ نَثيله وَمُعْتَلَفـه، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيـه يَخْضَمُـونَ مَـالَ اللّه خَضْمَ الإبل نبْتَةَ الرَّبِيـع، إلَى أَنِ انْتَكَـثَ عَلَيْه فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْه عَمَلُه، وَكَبَتْ بِه بِطْنَتُه.

فَمَـا رَاعَنـي إلاَّ وَالنَّاسُ إلـيَّ كَعُرْف الضَّبُع، يَنْثَالُونَ عَلَـيَّ منْ كُلِّ جَانب، حَتَّى لَقَدْ وُطىءَ الحَسَنَان، وَشُقَّ عطْفَايَ، مُجْتَمعينَ حَوْلي كَرَبِيضَة الغَنَم.

فَلَمَّـا نَهَضْـتُ بالأَمْر نَكَثَـتْ طَائفَةٌ، وَمَرَقَـتْ أُخْرَى، وَفَسَـقَ (وقسط) آخَرُون كَأَنَّهُـمْ لَـمْ يَسْمَعُـوا اللّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِـرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص:٨٣]، بَلَى! وَاللّه لَقَـدْ سَمعُوهَا وَوَعَوْهَـا، وَلكنَّهُمْ حَليَتِ الدُّنْيَـا فِي أَعْيُنهمْ، وَرَاقَهُـمْ زِبْرِجُهَا! أَمَا وَالَّـذي فَلَـقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسمَةَ، لَـوْلاَ حُضُورُ الحَاضر، وَقيَـامُ الحُجَّة بِوُجُود النَّاصر، وَمَا أَخَذَ اللّهُ عَلَى العُلَمَاء أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كظَّة ظَالـم، وَلا سَغَب مَظْلُومٍ، لأَلقَيْـتُ حَبْلَهَـا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلهَـا، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذه أَزْهَدَ عنْدي منْ عَفْطَة عَنْزٍ!».

قالـوا: وقـام إليه رجل من أهل السواد عنـد بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناولـه كتابًـا، فأقبـل ينظـر فيـه، فلمّا فرغ مـن قراءته قال لـه ابن عباس: يا أمير المؤمنيـن، لـو اطَّـرَدت مَقالتك من حيث أفضيتَ! فَقَالَ (عليـه السلام): هَيْهَاتَ يَا بْنَ عَبَّاس! تلْكَ شقْشقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ! قال ابن عباس: فواللّه ما أسفت على كلام قـطّ كأسفـي على ذلك الـكلام ألّا يكون أمير المؤمنين(عليـه السلام) بلغ منه حيث أراد.

وهكذا جربت الأمة وليًا لأمرها غير من اختاره الله ورسوله، إلا أنها وبعد أن ذاقت وبال أمرها وجنت ثمرة ابتعادها عن قرين القرآن ها هي تعود مرة أخرى إلى الشخص الذي هو محط إجلال وإكبار الناس جميعًا الذي لم ولن تكون بيعته فلتة.. إنه الإمام علي (عليه السلام) ألم يتجهوا إليه كلهم بعد ما قُتل عثمان، حتى وطئوا ابنيه الحسن والحسين لشدة ازدحامهم حولَه؟! اتجهوا كلهم إليه من بعد يبايعونه جميعًا؛ لأنه لا أحد يشك في أن علي بن أبي طالب ليس أهلًا للولاية وأن بيده الحلول التي ستنقذ الأمة مما قد وصلت إليه.

كانت صحوة متأخرة صحوة ولكن بعد تلك المدة الطويلة، بعدما يقرب من خمسة وعشرين عامًا بعد أن تغيرت الأمة وتغيرت النفوس وقُدِّمت بدائل أخرى للأمة واختلطت الأمور والمفاهيم.

وهكذا تحت ضغط الجماهير، وإلحاح الواجب يتولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة، ولكن مع وجود فرق شاسع على ما كان عليه الوضع بعد موت رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وبعد مرور تلك الفترة؛ فالأجواء قد تغيرت، والنفوس قد ألفت أسلوبًا آخر ينسجم مع أهوائهم وأطماعهم.

تدافع الناس إلى الإمام ‹عليه السلام› يبايعونه بالخلافة وفي مقدمتهم زعماء المهاجرين والأنصار، وهم يعلمون بأن أبا الحسن سيحملهم على المحجة البيضاء مهما كانت الظروف والأوضاع، وبات المسلمون في انتظار منهج الإمام في الحكم ومعالجته للأوضاع الشاذة. وإن كان لا يخفى عليهم سيرة الإمام التي ما حادت عن الحق قيد أنملة، وقد قال فيه رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: «**عليٌ مع الحق والحق مع علي**».

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية وتحت عنوان: وهرمٌ اجتماعي مقلوب أراد أن يعدله:

«وكان لا بد أن ينعكس ذلك على البنيان الاجتماعي فقد أصبح في قمته بنو أمية وهم من الطلقاء الذين أسلموا متأخرين، وفي سفحه الأنصار الذين رضوا أن تكون الخلافة في قريش، ثم رضوا بأن تستأثر قريش بولاية الأنصار وامتلاك الأرض والمال، ولم يشاركهم في أسفل السلم الاقتصادي إلا الشعوب المغلوبة من أصحاب الأقطار المفتوحة، لقد عملوا بنصيحة رسول الله أن يصبروا إذ سيلقون

أثـرةً حتـى يَـرِدُوا علـيَّ الحوض. هذا هـو البنيان المختـل الذي ورثه علي، فـأراد أن يقوِّمـه فاستنكـر عليـه سادة قريش عزمه علـى الإصلاح، بينما الـتـف حولـه الأنصار والمستضعفون في الأرض ومن آثروا دينهم على دنياهم. وما عسى أن يكون الأمر لو استقرت هذه الحال، إلا أن تكون حال الدولة الإسلامية كحال سائر الإمبراطوريات حيـث الحكـم للقـوة وحيـث يتسلـط الغالبـون علـى المغلوبيـن ويغتصبـون أرضهم ويستعمرون خططهم».

وتحـت عنـوان: ووضـعٌ سياسـيٌ معـوج أراد أن يقوَّمـه يقـول: «ولم يكـن الوضع السياسـي بأقـل خلـلاً إذ كان ولاة الأمصار في عهد عثمان- وهـم سبب الفتنة وثورة النـاس- مـن أقاربه حتى أصبحت العصبية سافرة، ومن ثم فقد عمل عليٌ منذ اليوم الأول لخلافته على حسم مسألة الولاة في غير هوادة[1]».

وفـي اليـوم الثانـي مـن البيعـة أُعلـن بـأن الإمـام سيخطـب فـي النـاس ويبسط منهاجـه.. وضـاق المسجـد بالمسلمين وهـدأت الأصوات، واعتلى علـيٌ المنبر وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«أيهـا النـاس إنمـا أنا رجلٌ منكم لي ما لكم وعليَّ ما عليكم وإني حاملكم على منهج نبيكم ومنفذٌ فيكم ما أُمِرْتُ به. ألا إن كل قطيعةٍ أقطعها عثمان، وكل مالٍ أعطـاه مـن مال الله فهو مردود في بيت المال.. فـإن الحق لا يبطلـه شيءٌ، ولو وجدتـه قـد تُزُوِّج به النساء وملكت الإماء، وفرقَ فـي البلدان لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق.

أيها الناس: ألا لا يقولن رجالٌ منكم غدًا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجـروا الأنهار، وركبـوا الخيل، واتخـذوا الوصائف المرققـة- إذا منعتهم ما كانـوا يخوضـون فيـه وأصرتهم إلـى حقوقهم التـي يعلمون- : حرمنـا ابن أبي طالب حقوقنا..

ألا وأيما رجلٍ من المهاجرين من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل لـه على سواه بصحبته فإن الفضل غدًا عند الله وثوابه وأجره على الله..

ألا وأيمـا رجـلٍ استجـاب للـه ورسولـه فصدق ملتنـا ودخل ديننـا واستقبل

(١) الزيدية، ص٤٦.

قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحدٍ على أحد وللمتقين عند الله أحسن الجزاء...».

وهكذا رسم الإمام الخطوط العريضة في سياسته المالية في الحكم هذه السياسة التي أطاحت ومزقت النفوس الجشعة المريضة التي كانت تتلاعب بأموال المسلمين فكانت كافية أن تنبذ هذه السياسة تلك الفئة، وتجعلها في وجه إمام الحق والمساواة.. إنها سياسة قائمة على العدالة المتكافئة التي يتعايش في ظلها المسلمون سواءً بسواء.

وعندما طلب منه التخفيف في سياسته المالية أجاب:

«أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور في من وليّت عليه؟ والله لو كان المال لي لسوّيت بينهم فكيف والمال مال الله.. ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذيرٌ وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة».[1]

حال الأمة التي قادها الإمام علي ‹عليه السلام›

عندما أقصي علي ‹عليه السلام› وأقصي معه القرآن قدمت البدائل المغلوطة إلى درجة رهيبة جدًّا إلى درجة أنه غاب عن الأمة كيف كان يصلي رسول الله ‹صلوات الله عليه وآله› كما أكد ذلك مطرف بن عبد الله وهو يبين حجم ما كانت قد وصلت إليه الأمة حيث قال: «صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب ‹عليه السلام› فلما انصرفنا أخذ عمران بن حصين بيدي فقال: لقد صلى صلاة محمد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ولقد ذكرني صلاة محمد ‹صلوات الله عليه›».

ولذلك تحولت الساحة إلى ساحة لا تقبل بالعظماء بل تقتلهم هذه الساحة وهذه الأمة التي هي ضحية لما حصل من تغير وانحراف خلال الفترة الماضية هي الساحة وهي الأمة التي ورثها الإمام علي ‹عليه السلام› وعانى منها الأمرّين؛ وقد أشار هو ‹عليه السلام› إلى فساد الوضعية عندما ألحوا عليه بأن ينهض ويتحرك واقتحموا عليه داره لبيعته، أكد لهم بأن الأمور لم تعد كما كانت عليه في عهد رسول

(١) نهج البلاغة ١ ص ١٨٤.

الله ‹صلوات الله عليه وآله› وبعد وفاته ومما قال: «**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ**»[1].

وقد رأينا من خلال خُطبته (الشِّقْشقيَّة) كيف لخص الوضعية السابقة للأمة، وكيف صارت الأمور بعد مقتل عثمان؛ فرغم اجماع الأمة على بيعة الإمام عليٍّ – عليه السلام- إلا أنه عندما نهض بالأمر في تلك المرحلة شُهِرَتْ السيوفُ في وجه دولته العادلة، وسُفِكتْ الدماء، وأزهقتْ النفوس، ودارت رحى الحرب أكثر من مرة على أيدي فئات كانت قد آثرتْ الحياة الدنيا على الآخرة.

لقد وصلتْ الأمة إلى مستوى خطير، تمثل في التمرد على قرين القرآن، وخدين الحق، وباب مدينة العلم، مِنْ قبل الناكثين في معركة الجمل، ثم من قبل المارقين في معركة النهروان، ثم من قبل القاسطين الفاسقين في معركة صفّين.

واقعة الجمل

وأزَّت العاصفة في وجه الإمام أمير المؤمنين ‹عليه السلام› وثارت كالحةً عاتية وكأنها تريد أن تجتث عهد الإمام وتطيح بحكمه.

فكانت المواجهة العسكرية الأولى بين الإمام الخليفة الشرعي والمنتخب، وبين الناكثين بقيادة الأقطاب الثلاثة: عائشة، وطلحة، والزبير؛ وذلك لأخذ الخلافة من علي بالقوة.

وحاول الإمام بكل ما يستطيع حقن الدماء ولكن دون جدوى. وعلى أرض البصرة دقت طبول الحرب إيذانًا بها.

وانبلج الصبح بثوبٍ كاسف.. وقد اصطف فيه الجيشان لخوض المعركة.

وكانت أحقية الإمام علي ‹عليه السلام› واضحة كالشمس لكل من يوجد في قلبه ذرةٌ من إيمان أو شعور بالحق والعدل والإنصاف.

ينقل الدكتور طه حسين الأديب والكاتب المصري الشهير في كتابه (علي وبنوه)

(١) ج ١ ص (١٣٦).

خبـر الرجـل الذي تردد في يوم الجمل في أمر علـيٍّ ‹عليه السلام› وطلحة والزبير وعائشـة، يقـول فـي نفسـه: كيف يمكـن أن يكـون مثل طلحـة والزبيـر وعائشة على الخطـأ؟! وشـكا شكه ذلك إلى الإمام علـي ‹عليه السلام› وسألـه: أيمكن أن يجتمع الزبير وطلحة وعائشة على باطل؟

فقال ‹عليه السلام›: «**إنك لملبوسٌ عليك إن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال، إعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله**».

وبعد أن ينقل الدكتور هذه الكلمات عن الإمام عليٍّ ‹عليه السلام› يقول:

«ما أعرف جوابًا أروع من هذا الجواب الذي لا يعصم من الخطأ أحدًا مهما تكن منزلته، ولا يحتكر الحق لأحـد مهما تكن مكانته، بعد أن سكت الوحي وانقطع خبر السماء»[1].

ينقـل المـؤرخ المسعـودي صـورة للموكـب العسكـري الـذي كان يتقدمـه أميـر المؤمنين ‹عليه السلام› في معركة الجمل- والذي يظهر أن الحق في جانب الإمام علـي ‹عليـه السلام› في أنصع صورة لمـن لا يعرفون مكانة الإمام؛ لما كان يحتويه معسكره من عظماء وفضلاء- فيقول:

لمـا قدم عليٌّ ‹عليه السـلام› البصرة دخل مما يلي الطف فأتى الزاوية فخرجت أنظـر إليـه فـورد موكبٌ في نحو ألف فارس يتقدمهم فارسٌ على فرسٍ أشهب عليه قلنسـوة وثيـاب بيض متقلدٌ سيفًا ومعه راية وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفـرة مدججيـن فـي الحديـد والسلاح، فقلـت: من هـذا؟ فقيل: هذا أبـو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وهؤلاء الأنصار وغيرهم.

ثـم تلاهـم فارسٌ عليه عمامةٌ صفراء وثيابٌ بيض متقلدٌ سيفًا متنكبٌ قوسًا معه رايـة علـى فرسٍ أشقر فـي نحو ألف فارس، فقلـت: من هذا؟ فقيل: هـذا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

ثم مر بنا فارسٌ آخر على فرس كميت[2] معتمٌ بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضـاء وعليـه قباءٌ[3] أبيض مصقول، متقلدٌ سيفًا متنكبٌ قوسًا في نحو ألف فارس

(١) في رحاب نهج البلاغة، المرتضى المطهري ص٢٥.
(٢) ما كان لونه بين الأسود والأحمر.
(٣) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب.

من الناس ومعه رايةٌ، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: أبو قتادة بن ربعي.

ثم مر بنا فارسٌ آخر على فرسٍ أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه ومن خلفه، شديد الأدمة، عليه سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، متقلدٌ سيفًا، متنكبٌ قوسًا، معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان، حوله مشيخة وكهول وشباب كأنما قد أوقفوا للحساب قد أثر السجود في جباههم فقلت: من هذا؟

فقيل: عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثم مرَّ بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسًا، متقلدًا سيفًا، تخط رجلاه في الأرض في ألف فارس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء.قلت: من هذا؟

قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في عدة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان.

ثم مرَّ بنا فارس على فرسٍ أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثيابٌ بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه بلواء. قلت: من هذا؟ قيل: هو عبد الله بن العباس في وفده وعدة من أصحاب رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.

ثم تلاه موكبٌ آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين. قلت: من هذا؟.

قيل: عبيد الله بن العباس.

ثم تلاه موكبٌ آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين. قلت: من هذا؟.

قيل: قثم بن العباس، أو معبد بن العباس.

ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضًا واشتبكت الرماح.

ثم ورد موكبٌ فيه خلقٌ من الناس عليه السلاح والحديد مختلفو الرايات، في أوله راية كبيرة، يقدمهم رجل كأنما كسر وجُبر[1] نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، كأنما على رؤوسهم الطير، وعن يمينه شابٌ حسن الوجه وعن يساره شاب حسن الوجه، وبين يديه شاب مثلهما.

(١) وهذه صفة رجل شديد الساعدين وكذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر.

قلت: من هؤلاء؟ قيل: هذا علي بن أبي طالب، وهذا الحسن والحسين عن يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم، وهؤلاء المشائخ هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفَّر خديه على التراب وقد خالط ذلك دموعه، ثم رفع يديه يدعو: اللهم رب السموات وما أضلت، والأرضين وما أقلت، ورب العرش العظيم، هذه البصرة، أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرها، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم إن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا عليَّ ونكثوا بيعتي، اللهم احقن دماء المسلمين[1].

وعلى أرض المعركة اشتبكت السيوف وحمي الوطيس، واقتتل الناس قتالًا شديدًا وتمر ساعات الحرب عنيفة تحصد الرؤوس وتزهق الأرواح، لا رحمة فيها ولا هوادة، ويُقتل طلحة بسهم رفيقه في المعركة مروان بن الحكم أخذًا بثأر عثمان قائلًا: لا أطلب ثأر عثمان بعد اليوم! إن دم عثمان عند هذا...

ويهرب الزبير من المعركة، وتسقط عائشة من على جملها بعد أن تخلى عنها غلمان بني أمية من كانوا يحيطون بجملها.

الفئة الباغية

المطالبة بدم عثمان بلاءٌ انصب على المسلمين بالأمس تألبوا جميعًا على قتل عثمان وحربه، واليوم يذرفون الدموع عليه ويطالبون بدمه. وما شأن عليٍّ ودم عثمان؟! فالذين يطالبون بدمه هم الذين قتلوه، أو خذلوه عن عمد، ولقد كان عمرو بن العاص يقول: (والله إني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان)[2].

وهكذا بدأ ابن آكلة الأكباد معاوية بن أبي سفيان من حيث انتهت في معركة الجمل مطالبًا بدم عثمان.

---

(١) مروج الذهب ٢/٣٦٨.

(٢) عبقرية الإمام علي ص ٧٢.

ومع الأيام أصبح دم عثمان شعارًا يتذرع به معارضو الإمام ولافتة صارخة يحملها مناوئوه للتأليب عليه والتصدي لحكمه والإطاحة به.

وقميص عثمان اتخذ منه معاوية مبررًا لإعلان الحرب على الإمام والوصول إلى السلطة وعندما وصل معاوية إلى السلطة وتحققت أطماعه سقط هذا الشعار واختفى.

وموقف الأمويين من بني هاشم معروف وواضح منذ شروق الإسلام، فهو صراع بين الحق والباطل.

عليٌّ يمثل جانب الحق وفي وجهه مسحة الرسالة وشخصيته امتداد لرسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› «**عليٌّ مني وأنا منه**».

ومعاوية يمثل جانب الباطل، يمثل أحقاد قريش وضغائنها التي ما فتئت تتحين الفرص لتنال من الإسلام. ثارات بدرٍ وحنين والأحزاب.

يقول السيد العالم بدر الدين الحوثي - رحمة الله عليه - في كتابه إرشاد الطالب:

«ولما قتل عثمان رجع الناس إلى علي‹عليه السلام› وبايعه بقايا المهاجرين والأنصار الذين كانوا بمدينة رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› إلا أن يكون عدد يسير تأخروا كابن عمر وسعد بن أبي وقاص وكان علي ‹عليه السلام› هو المنظور إليه لهذا الشأن لما قدمناه ولكونه صفوة قريش إن كان الأمر لقريش وصفوة المهاجرين منهم إن كان الأمر للمهاجرين من قريش وصفوة الصحابة وصفوة القرابة وعظيم الأمة وعبقريها.

ولكن بني أمية استغلوا الدعاية التي ذكرنا فطلبوا الملك وقام معاوية لحرب علي ‹عليه السلام› باسم الطلب بثأر عثمان وقد كان علي ‹عليه السلام› بريئًا لا شك في براءته وقد عرض لمعاوية أن يدخل معاوية في طاعته ويحاكمهم إلى علي ‹عليه السلام› ويحكم علي ‹عليه السلام› بينهم بكتاب الله؛ لأنه لم يكن من الحق قتلهم بدون محاكمة كما يطلب معاوية قتلهم على كل حال وعلي ‹عليه السلام› لا يرى ذلك؛ لأن لهم في قتله حجة تسقط عنهم القصاص في ظاهر الأمر؛ لأنهم قتلوه نهيًا عن المنكر ودفاعًا عن أنفسهم حيث ظهر أنه قد عزم هو أو من يطيعه

عثمان من الوزراء على قتلهم واعتقدوا أنه لا ينقذهم من ذلك إلا قتل عثمان فلم يكن يجب عند أمير المؤمنين التعرض لهم والحال هذه وإن كان يرى لولي الدم لو طلب المحاكمة إلى علي ‹عليه السلام› أن يحاكمهم حتى يدلي كل من الطرفين بحجته ثم يحكم بينهم بالحق وقد كان يجب على الأمويين وغيرهم الرجوع إلى حكم علي ‹عليه السلام› لأنه أقضى الأمة وأعلمها بكتاب الله وسنة رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ولم يكن لهم أن يرجعوا إلى القتال دون الرد إلى الله والرسول كما أمر الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾[النساء:٥٩].»

وقعة صفين

ما بين أعالي العراق وبلاد الشام تقع صفين، تلك البلدة لتي خلدها التاريخ، وخلدت هي تاريخًا ظاهرًا في حياة الأمة الإسلامية...

تلك الحرب التي استنفدت من تاريخ الدم المهراق مائة يوم وعشرة أيام، بلغت فيها الوقائع تسعين وقعة فيما يذكر المؤرخون، وقتل فيها الكثير من الطرفين[1]. فما كاد الإمام علي (عليه السلام) وأصحابه ينزلون عن خيولهم بعد أن خمدت فتنة الناكثين في وقعة الجمل (عام ٣٦ من الهجرة) حتى اعتلوها مرة أخرى في حرب صفين لخمس مضين من شوال من السنة نفسها.

مجزرة رهيبة، فجائع، ضياع حق، باطل يريد أن يتغلب، مكر، غدر، تزوير، خدعة، هذه زبدة صفين..

انتهت حرب الجمل في البصرة بانتصار أمير المؤمنين علي (عليه السلام) رجع إلى الكوفة مظفرًا، ليبني الدولة الإسلامية دولة الحق والعدالة، ليقيم الحدود، لتطمئن النفوس، ليورق العود وتخضر الأرض اليابسة، وينعم المسلم بورعٍ وتقوى.

لم يرق ذلك لمعاوية بن أبي سفيان وهو الأمير المدلل من قبل الخلافة السابقة، فقد عرف أن رياح التغيير سوف تعصف بأحلامه الجاهلية، وأن يد الحق والعدالة

(١) مروج الذهب٢/٣٦١.

ستطاله وهو بالشام؛ لذلك أغرق الشام بالمال، وأغراها بغير المال، وبكل وسيلة ممكنة لديه وقادهم إلى نزاع مسلح مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، وصي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

ولو احتمل معاوية أن الإمام سيبقيه على بذخه، ويقره على إسرافه، لما أعلن التمرد والعصيان، ويعلم كل العلم أن الإمام لا يداهن في دينه ولا يقر الظلم والاستبداد، فكيف يقر معاوية في الحكم وهو يعلم أنه فاسق فاجر، لا واقعية له ولا حريجة له في الدين.

يقول السيد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه في (دروس من وحي عاشوراء):

وهكذا الإمام علي ‹عليه السلام› عندما آلت الخلافة إليه كان أمامه عقبة كؤودًا، هي معاوية في الشام. كان أول قرار اتخذه الإمام علي ‹عليه السلام› هو أنه يجب عزل هذا الرجل ولا يمكن أن يبقى دقيقة واحدة في ظل حكم علي، يحكم منطقة كالشام باسم علي، وباسم الإسلام.

البعض نصح الإمام عليًا ‹عليه السلام› بأنه ليس الآن وقت أن تتخذ مثل هذا القرار، معاوية قد تمكن في الشام، انتظر حتى تتمكن خلافتك ثم بإمكانك أن تعزله. يبدو هذا عند من يفهمون سطحية السياسة، وعند من لا يصل فهمهم إلى الدرجة المطلوبة بالنسبة للآثار السيئة، والعواقب الوخيمة لأن يتولى مثل ذلك الرجل على منطقة كَبُرَت أو صَغُرَت، على رقاب المسلمين، كمعاوية.

تبدو هذه فكرةً صحيحةً: دَعْهُ حتى تتمكن، ثم بإمكانك أن تغيره بعد. الإمام علي ‹عليه السلام› قال: لا يمكن. واستشهد بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف: ٥١] عونًا ومساعدًا؛ لأن من تعينه واليًا على منطقة، أو تقرُّه واليًا على منطقة ما، يعني ذلك أنك اتخذته ساعدًا وعضدًا، يقوم بتنفيذ المهام التي هي من مسؤوليتك أمام تلك المنطقة أو تلك.

الإمام علي لم يقرّ معاوية واليًا على الشام، وعندما استشهد بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف: ٥١] إن معاوية رجل مضل، يضل أمة، ومعنى أن تُضل أمة بعد أن جاء هدي الله، بعد أن جاء نور القرآن، بعد أن بعث الله محمدًا ‹صلوات الله وسلامه عليه› ماذا يكون إضلالك؟ هل يكون إلا صرفًا

للأمة عن القرآن، صرفًا للأمة عن محمد، صرفًا للأمة عن دين الله، عن الإسلام، عن هدي الله.

إن معاوية مضل، وقد بقي فترة طويلة على بُعدٍ من عاصمة الدولة الإسلامية، أضل أمة بأسرها، أقام لنفسه دولة في ظل الخلافة الإسلامية.. وعندما حصل الصراع بين الإمام علي ‹عليه السلام› وبين معاوية وجاءت معركة (صفين) استطاع معاوية أن يحشد جيشًا كثير العدد والعدة أكثر من جيش الخليفة نفسه! أكثر عددًا وأقوى عدة من جيش الخليفة نفسه! وكان ذلك الجيش الذي حشده إلى ساحة (صفين) مجاميع من تلك الأمة التي أضلها معاوية.

لما أضلها معاوية انطلقت تلك الأمة لتقف في صف الباطل، لتقف في وجه الحق، لتقف في وجه النور، لتقف في وجه العدالة، في وجه الخير، تقف مع ابن آكلة الأكباد، مع ابن أبي سفيان، ضد وصي رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، ضد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الذي قال فيه الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله›: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**».

إنه الضلال، وما أخطر الضلال! ما أخطر الضلال! وما أسوأ آثار ونتائج وعواقب الضلال! و ما أفضع خسارة المضلين عند الله! ما أشد خسارتهم! وما أفظع خسارتهم في هذه الدنيا ويوم يلقون الله سبحانه وتعالى، وقد أضلوا عباده!.

الإمام علي ‹عليه السلام› هو يعلم أن أخطر شيء على الأمة، أن أخطر شيء على البشرية هو الضلال والمضلون؛ لذلك وهو من يعرف واجب السلطة في الإسلام، ويعرف مهمة الدولة في الإسلام، ويعرف مهمة الخلافة الإسلامية، يرى أنه لا يمكن بحال أن يقرَّ شخصًا مضلًا على منطقة في ظل دولته وإن كانت النتيجة هي تَقْويض خلافته واستشهاده.. كان يقول: «**إن خلافتكم هذه لا تساوي عندي شراك نعلي هذا إلا أن أقيم حقًا أو أميت باطلا**».

لماذا؟ قد يستغرب أي شخص منا عندما يسمع كلامًا لأمير المؤمنين ‹عليه السلام› كهذا... أنت حريص على أن تزيل معاوية من موقعه حتى لو كان الثمن هو تقويض خلافتك، إزاحتك عن هذا المنصب، استشهادك.! الإمام علي ‹عليه السلام› يرى كل هذا سهلًا، ولا أن يبقى معاوية دقيقة واحدة على رقاب الأمة؛ لأن عليًا لم يكن من أولئك الذين يحرصون على مناصبهم، وليكن الثمن هو الدين،

وليكن الثمن هو الأمة، ومصالح الأمة، ومستقبل الأمة، وعزة الأمة وكرامتها.

الإمام علي يعرف أن من يعشق السلطة، أن من يعشق المنصب هو نفسه من يمكن أن يبقي مثل معاوية على الشام، هو نفسه من يمكن أن يبيع دين الأمة، أن يبيع الدين الإسلامي، هو نفسه من يمكن أن يبيع الأمة بأكملها مقابل أن تسلم له ولايته، وأن يسلم له كرسيه ومنصبه.

وهل عانت الأمة من ذلك اليوم إلى الآن إلا من هذه النوعية من الحاكمين؟! هذه النوعية التي نراها ماثلة أمامنا على طول وعرض البلاد الإسلامية لما كانوا من هذا النوع الذي لم يتلق درسًا من علي ‹عليه السلام› الذي كان قدوة يمكن أن يحتذي به من يصل إلى السلطة، قدوة للآباء في التربية، قدوة للسلاطين في الحكم، قدوة للدعاة في الدعوة، قدوة للمعلمين في التعليم، قدوة للمجاهدين في ميادين القتال، قدوة لكل ما يمكن أن يستلهمه الإنسان من خير ومجد وعز. أولئك الذين لم يعيشوا هذه الروحية التي عاشها الإمام علي ‹عليه السلام› في اليوم الأول من خلافته، فأرى الجميع أن خلافته عنده لا تساوي شراك نعله إذا لم يقم حقًا ويمت باطلًا.

ما قيمتها إذًا؟! ما قيمة دولة تحكم باسم الإسلام، ويتربع زعيمها على رقاب المسلمين، وعلى عرش البلد الإسلامي، ثم لا يكون همه أن يحيي الحق ويميت الباطل؟!. لا قيمة لها، ليس فقط لا قيمة لها، بل ستتحول قيمتها إلى شيء آخر، ستتحول الأمور إلى أن يكون قيمتها هو الدين، إلى أن يكون قيمتها هو الأمة.

عندما نسمع زعماء العرب، زعماء المسلمين كلهم يسرعون إلى الموافقة على أن تكون أمريكا حليفة، على أن تكون أمريكا هي من يتزعم الحلف لمحاربة ما يسمى بالإرهاب، وعندما نراهم جميعًا يعلنون وقوفهم مع أمريكا في مكافحة ما يسمونه بالإرهاب؛ لأنهم جميعًا يعشقون السلطة؛ لأنهم جميعًا يحرصون على البقاء في مناصبهم مهما كان الثمن، لكنهم لا يمكن أن يصرحوا بهذا، هم يقولون: من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار، من أجل الحفاظ على مصلحة الوطن! أو يقولون: خوفًا من العصا الغليظة! وأي عصا أغلظ من عصا الله، من جهنم، ومن الخزي في الدنيا؟ هل هناك أغلظ من هذه العصا؟.

الإمام علي ‹عليه السلام› أراد أن يعلم كل من يمكن أن يصل إلى موقع السلطة

في هذه الأمة أنه لا يجوز بحال أن تكون ممن يعشق المنصب؛ لأنك إذا عشقت المنصب ستضحي بكل شيء في سبيله، وألّا تخاف من شيء أبدًا، فإذا ما خفت من غير الله فسترى كل شيء مهما كان صغيرًا أو كبيرًا يبدو عصا غليظة أمامك.

وهكذا اجتمعت في شخص معاوية صفات تؤهله للوقوف بوجه الإمام علي ‹عليه السلام›: فدهاؤه وسعة ذكائه وعدم تحرزه من الدين، أضف إلى ذلك تواجد المال بحوزته هيأت له مجال العمل والتحرك دون تحاشٍ، ومن ورائه الكائدون للإسلام.

وقبيل المعركة رجل يطلب مقابلة الإمام

(وعلى أرض المعركة خرج رجل من أهل الشام ينادي بين الصفين يا أبا الحسن، يا علي أبرز إلي.

قال: فخرج عليٌّ حتى إذا اختلف أعناق دابتيهما بين الصفين.

فقال: يا علي إن لك قدمًا في الإسلام وهجرة فهل لك من أمرٍ أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيكً؟.

فقال له علي: وما ذاك؟

قال: ترجع إلى عراقك فنخلي بينك وبين العراق، ونرجع إلى شامنا فتخلي بيننا وبين شامنا.

فقال له علي عليه السلام: لقد عرفت إنما عرضت هذا نصيحة وشفقة ولقد أهمني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينيه، فلم أجد إلا القتال، أو الكفر بما أنزل على محمد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› إن الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فوجدت القتال أهون عليَّ من معالجة الأغلال في جهنم)[1].

وكانت محاولة الإمام الأخيرة مع معاوية أن يجنب المسلمين مشاكل الحرب ويتقابلا وأن يعفا الفريقان من القتال.. ولكن معاوية وهو الداهية يعلم مسبقًا أنه لا قابلية له على مقابلة ابن أبي طالب.

يقول الإمام في معرض رده على معاوية: «**وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس**

(١) وقعة صفين ٤٧٤.

جانبًا واخرج إلي، واعف الفريقين من القتال ليُعلم أينا المرين[1] على قلبه والمغطى على بصره فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخًا يوم بدر.. وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي ما استبدلت دينًا ولا استحدثت نبيًا، وإني على المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين»[2].

ويتغافل معاوية عن هذا النداء وكأنه لا يعنيه.

ودقت ساعة الحرب.. والتقى الجيشان.. ودارت رحى القتال تحصد الرؤوس دون رحمة وهوادة، وتخمد الأنفاس، وتهلع القلوب.. ولم يسهل ذلك على الإمام وحاول أن يحسم الأمر مرة أخرى، فخرج من بين العسكر المتشابك حيث مقر معاوية فوقف قبالته وناداه: «**علام يقتتل الناس ويُقتلون؟ أبرز يا معاوية إلي ودع الناس فيكون الأمر لمن غلب**».

نداءٌ طبيعي للغاية، ودعوة صريحة لا لبس فيها ولا خفاء، ولكن من الداعي ومن المدعو؟

الداعي: أبو الحسن وسيفه ذو الفقار بيده، والمدعو: معاوية بن أبي سفيان رجل مكرٍ لا حرب. والتفت أبو يزيد لبطانته وقد تسمروا حوله وعيونهم مشدودة للفارس الذي يتحداهم فزرع الرعب في أعماقهم وأثار الرجفة في قلوبهم فارتعدت فرائصهم، إنهم بطانة سوء مؤلفة من عمرو بن العاص وبسر بن أرطأة وعبيد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن خالد وأضرابهم، وحاول أن يستطلع رأيهم في الدعوة، فرد عليه ابن العاص بخبث وسخرية قائلًا: لقد أنصفك الرجل فابرز إليه.

فالتاع معاوية من القول وكتمها بنفسه ثورة مكبوتة، ورد عليه بتأنيب: طمعت فيها يا عمرو وهل بارز عليٌّ أحدًا إلا قتله؟.

ولم يكن عمرو بن العاص بأسعد حظًا من رفيقه معاوية ففي المعركة وقعت عين أمير المؤمنين على الثعلب المكار عمرو بن العاص وانقض عليه الإمام كالأسد الكاسر وكاد سيف علي أن يأكله لولا اتقاؤه لسيف علي بكشف سوأته؛ مما اضطر علي أن يدير بوجهه عنه، ففر من بين يديه يجر الخزي والعار.

---

(١) المرين: المغطى.

(٢) نهج البلاغة.

تعالت ضحكات معاوية وهو يتذكرمنظر عمرو بن العاص أمام علي وقال له ساخرًا: يا عمرو احمد الله والإستاه؛ إذ حالت دون وصول سيف علي إليك! فرد عليه عمرو بن العاص قائلا: يا معاوية إنه علي لم يبارزه أحد ويعود سالمًا أما تتذكر يا معاوية يوم دعاك علي للبراز أما والله لقد رأيتك وقد مال شدقاك واحولت عيناك وخرج من أسفلك ما أكره أن أقوله.

ومن المواقف العظيمة للإمام علي ‹عليه السلام› في صفين:

بعدما طلب الإمام علي من معاوية البراز في صفين ورفض معاوية، برز يومئذ عروة بن داود الدمشقي فقال: إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلم إليَّ. فتقدم إليه عليٌ ‹عليه السلام›.

فقال أصحاب الإمام له: ذر هذا الكلب فإنه ليس عليك بخطر.

فقال: والله ما معاوية بأغيض لي منه. دعوني وإياه، ثم حمل عليه فضربه ضربه فقطعه قطعتين سقطت إحداهما يمنة والأخرى يسرة فارتج المعسكران لهول الضربة.

ثم قال علي ‹عليه السلام›: إذهب يا عروة فأخبر قومك أما والذي بعث محمدًا بالحق لقد عاينتَ النار وأصبحتَ من النادمين[١].

ومن مواقف البطولة للإمام عليٍّ‹عليه السلام› ما حصل لحريث مولى معاوية وكان بطلًا وكان معاوية يفتخر به ويعده لنوائب الدهر.. وكان قد أوصاه أن يبرز لكل أحد ما عدا علي بن أبي طالب... وكان عمرو بن العاص يخشى جانبه فاستغل غرور حريث وأكد له بأن معاوية حسده أن يحظى بشرف القضاء على علي بن أبي طالب وإلا فإنه قادرٌ على ذلك.

وفي المعركة نادى حريث مولى معاوية وكان شديدًا ذا بأس فقال: يا علي هل لك في المبارزة؟ فأقدم أبا حسن إذا شئت. فأقبل عليٌ وهو يقول:

أنـا عـلـيٌ وابـن عـبـد المطلبْ ... نحن لعمر الله أولى بالكتبْ
منا النبيُّ المصطفى غير كذبْ ... أهل اللواءِ والمقامِ والحجبْ

(١) صفين ٤٥٨.

نحن نصرناه على جلِّ العَرَبْ يا أيها العبدُ الغريرُ المنتدبْ

أثبتْ لنا يا أيها الكلبُ الكَلِبْ

ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة فقطعه نصفين.

قال نصر بن مزاحم: فجزع معاوية عليه جزعًا شديدًا وعاتب عَمْرًا وقال في رثائه:

حريثٌ ألم تعلم وجهلك ضائرٌ بأن عليًّا للفوارس قاهرُ

وأن عليًا لم يبارزه فارسٌ من الناس إلا أقصدته الأظافرُ

أمرتك أمرًا حازمًا فعصيتني فجدك إذ لم تقبل النصح عاثرُ

ودلاك عمرو والحوادث جمةٌ غرورًا وما جرّت عليك المقادرُ

وظنَّ حريثٌ أنَّ عَمْرًا نصيحُهُ وقد يُهلِكُ الإنسانَ مَنْ لا يحاذرُ

أيركب عمرو رأسه خوف سيفه ويصلى حريثٌ إنه لفرافرُ[1]

مواقف عظماء الصحابة

أبو أيوب الأنصاري

أبو أيوب الأنصاري - رضوان الله عليه - ذلك الصحابي العظيم قال أبو صادق: قدم أبو أيوب العراق فأهدت له الأزد جزورًا فبعثوا بها معي فدخلت فسلمت إليه وقلت له: قد أكرمك الله بصحبة نبيه ونزوله عليك فما لي أراك تستقبل الناس تقاتلهم، تستقبل هؤلاء مرة، وهؤلاء مرة؟.

فقال: إن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عهد إلينا أن نقاتل مع عليٍّ الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه. وعهد إلينا أن نقاتل مع علي المارقين فلم أرهم بعد[2].

وعن أبي أيوب الأنصاري أيضًا: إن الرائد لا يكذب أهله: أمرني رسول الله

(١) الفرافر: الأخرق الأحمق.

(٢) الغدير ١٩٢/٣، وتاريخ ابن عساكر٤١/٥، وتاريخ ابن كثير ٣٠٦/٧، وكنز العمال ٨٨/٦.

(صلوات الله عليه وعلى آله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي.

أبو سعيد الخدري

أبو سعيد الخدري - رضوان الله عليه - قال: أمرنا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين قلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب[1].

عبدالله بن مسعود

عبد الله بن مسعود - رضوان الله عليه - قال: أمر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عليًا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

عمار بن ياسر

أبو اليقظان عمار بن ياسر - رضوان الله عليه - قال: أمرني رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[2].

ويكفي أمير المؤمنين قول رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فيه: أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق[3].

وقول الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لعمار: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». لذلك كان عمار أقوى جنود الإمام وأكثرهم قناعة.

عمار بفضله وعظمته حيث كان في الطليعة الأولى من أصحاب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إيمانًا وجهادًا وانطلاقًا في خدمة الإسلام وكان أثيرًا على النبي حتى قال فيه: «عمار جلدة ما بين عيني وأنفي».

وقال في حقه: «ما خُيِّر عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما»[4].

(١) الغدير ١٩٢/٣، قال: أخرجه الحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي، والحافظ الكنجي في الكفاية٧٢، وابن كثير في تاريخ ٣٠٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) مسلم، والترمذي في جامعه٢٩٩/٢، وأحمد بن حنبل في مسنده١/٤٨.
(٤) معاوية أمام محكمة الجزاء ص ٢٠٣، نقلا عن سيرة ابن هشام، ومصابيح السنة.

وقال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): «**لقد ملئ عمار إيمانًا من قرنه إلى أخمص قدميه**».

وقال (صلوات الله عليه وعلى آله): «**لو قتل عمارًا جميع أهل الأرض لدخلوا النار**[1]».

وقال علي (عليه السلام): «**جاء عمار يستأذن على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فقال: ائذنوا له مرحبًا بالطيب وابن الطيب**»[2].

لقد كان عمار يقاتل على بصيرة من أمره، وكان يقول: إني لأرى وجوه قومٍ لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على باطل[3].

من مواقف عمار

وفي صفين نادى عمار رضي الله عنه قائلًا: أين من يبتغي رضوان الله، ولا يؤوب إلى مالٍ ولا ولد، فأتته عصابة من الناس. فقال: أيها الناس، أقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفان ويزعمون أنه قتل مظلومًا، والله ما طلبتهم بدمه ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤوها، واعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قتل مظلومًا ليكونوا بذلك جبابرة ملوكًا، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان، اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم، ثم مضى ومضت معه تلك العصابة التي أجابته حتى دنا من عمرو فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر.! تبًا لك طالما بغيت في الإسلام عوجًا، ثم حمل عمار وهو يقول:

صَدَقَ اللّهُ وهو للصِّدْقِ أَهْلُ ... وتعالى ربي وكانَ جليلا
ربِّ عَجِّلْ شهادةً لي بِقَتْلٍ ... في الذي قدْ أحبَّ قَتْلًا جميلا

(١) معاوية أمام محكمة الجزاء، نقلًا عن شرح النهج٥/٢٨٥.
(٢) صفين ٣٢٣.
(٣) مروج الذهب ٢/٣٩١.

مُقْبِلًا غيرَ مُدْبرٍ إنَّ لِلْقَتْـ ـلِ على كُلِّ ميتةٍ تفضيلا
إنهم عندَ ربِّهم في جنانٍ يشربون الرحيقَ والسلسبيلا
مِنْ شرابِ الأبرارِ خَالَطَهُ المسـ ـكُ وكأسًا مزاجها زنجبيلا

ثم نادى عبيد الله بن عمر فقال: صرعك الله بعت دينك من عدو الإسلام وابن عدوه.

قال: لا ولكن أطلب بدم عثمان بن عفان.

قال له: أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عز وجل، وإنك إن لم تقتل اليوم تمت غدًا، فانظر إذا أعطى الناس على قدر نياتهم ما نيتك[1]؟.

ثم قال عمار بن ياسر: اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت، وإني لا أعلم اليوم عملًا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أن عملًا من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته[2].

وروى أسماء بن الحكم الفزاري قال: كنا بصفين مع علي بن أبي طالب تحت راية عمار بن ياسر ارتفاع الضحى، استظللنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجلٌ يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر: هذا عمار. قال أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال: إن لي حاجة إليك فانطق بها علانية أو سرًّا؟ قال: اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا بل علانية.

قال: فانطق.

قال: إني خرجت من أهلي مستبصرًا في الحق الذي نحن عليه لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصرًا حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدم منادٍ فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ونادى بالصلاة، فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتابًا واحدًا، ورسولنا واحد فأدركني الشك في ليلتي

(١) أبو مخنف ١/ ١٩٥-١٩٦، وصفين ص٣٢٠.
(٢) أبو مخنف ١/ ١٩٥، والطبري ٥/ ٣٨-٣٩، وصفين ٣٢٠.

هذه، فبت في ليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟.

قلت: لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه. فجئتك لذلك.

قال له عمار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثلاث مرات وهذه الرابعة ما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن، أشهدت بدرًا وأحدًا أو حنينًا أو شهد لك أب فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا المعسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقًا للذي نحن عليه كانوا خلقًا واحدًا فقطعته وذبحته، والله لدماؤهم جميعًا أحل من دم عصفور، أفترى دم عصفورٍ حرامًا.! قال: لا بل حلال.

قال: فإنهم كذلك حلالٌ دماؤهم أتراني بينت لك ؟ قال: قد بينت لي.

قال: فاختر أي ذلك أحببت.

قال: فانصرف الرجل، ثم دعاه عمار بن ياسر فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقذي عين ذباب، والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغوا بنا سعفات هجر[1] لعرفنا أنا على حق وهم على باطل، وأيم الله لا يكون سلمًا سالمًا أبدًا حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم، ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن قتلاهم وموتاهم في الجنة وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار، وكان أحياؤهم على الباطل[2].

وكان عمار يحث الإمام قائلًا: يا أمير المؤمنين إن استطعت ألّا تقيم يومًا واحدًا فاشخص بنا قبل استعار نار الفجرة واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادعهم إلى رشدهم وحظهم فإن قبلوا سعدوا، وإن أبوا إلا حربنا فوالله إن سفك دمائهم

(١) وإنما خص هجر للمباعدة في المسافة ولأنها موصوفة بكثرة النخيل.
(٢) صفين ٣٢١.

والجد في جهادهم لقربة عند الله وهو كرامة منه[1].

واندفع الصحابي العظيم عمار بن ياسر إلى تعريف الجيش الشامي بواقع معاوية فقال: يا أهل الشام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين. فلما أراد الله أن يظهر دينه، وينصر رسوله، أتى النبي فأسلم، وهو والله فيما يرى راهب غير راغب، وقبض الله رسوله وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم، ومودة المجرم، ألا إنه معاوية فالعنوه لعنه الله، فإنه ممن يطفئ نور الله، ويظاهر أعداء الله[2].

حذيفة بن اليمان رضوان الله عليه

كان حذيفة عليلًا بالكوفة سنة ٣٦هـ، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال: أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة، فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله، ثم قال: أيها الناس إن الناس قد بايعوا عليًا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليًا وآزروه فوالله إنه لعلى الحق آخرًا وأولًا، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة، ثم أطبق يمينه على يساره، ثم قال: اللهم إني قد بايعت عليًا، وقال: الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم، وقال: لابنيه صفوان وسعد: احملاني وكونا معه فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا أن تستشهدا معه فإنه والله على الحق، ومن خالفه على الباطل، ومات حذيفة بعده بسبعة أيام، وقيل: بأربعين يومًا. وقد عمل ولداه صفوان وسعد بنصيحته فاستشهدا مع الإمام بصفين[3].

عدد البدريين الذين شهدوا صفين في صف الإمام علي عليه السلام

شهد صفين مع علي (عليه السلام) من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلًا منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن

(١) صفين٩٣.
(٢) معاوية أمام محكمة الجزاء ص٦٩.
(٣) مروج الذهب ٢/٣٩٤.

بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة[1].ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد[2].

مؤامرة رفع المصاحف

كاد الإمام أن ينتصر ويحصد ثمار المعركة لولا المكر والخديعة من قبل معاوية وعمرو بن العاص والجهل وقل الإيمان والوعي والتمرد والعصيان في جيش الإمام... ويسقط عمَّار بن ياسر شهيدًا في المعركة بسيوف جيش معاوية مبيِّنًا لمن ما زال في قلبه أدنى شك أو شبهة (الفئة الباغية) التي تدعوه إلى النار ويدعوها إلى الجنة، كما بين ذلك رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› «**ويح عمَّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**».

وابتلع جيش عليٍّ ‹عليه السلام› الطعم الذي وضعه له عمرو بن العاص برفع المصاحف مع أن الإمام قد أوضح لهم بأنها: كلمة حقٍّ يراد بها باطل، دون جدوى ويحصل الانشقاق في جيش أمير المؤمنين، يتلوه مسرحية التحكيم.

المؤامرة التي حاك خيوطها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان والأشعث وأبو موسى الأشعري لصالح معاوية الطليق بن الطليق.

تمرد الخوارج

وقبل أن تمسح الأمة عن جبينها غبار المآسي وسيول الدماء التي جرت في صفين وقبل أن تهدأ النفوس من مأساة التحكيم وما رافقها من أحداث كانت فتنة الخوارج عبئًا ثقيلًا على أمير المؤمنين ‹عليه السلام› حتى قضى على فتنتهم.

كان الإمام قد حذرهم مسبقًا، وخوفهم المصير السيئ الذي ينتظرهم قائلا لهم:

---

(١) مروج الذهب ٢/٣٦١.
(٢) اليعقوبي٢/١٨٨.

«فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، وَلَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُجْرًا، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا».(١)

لقد كان الإمام يعرف مصيرهم تمامًا؛ فقد أخبره الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بذلك؛ ولذلك قال ‹عليه السلام› لما عزم على حرب الخوارج وقيل له إن القوم عبروا جسر النهروان قال: **«مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ وَاللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.»** (٢)

وتحدث الإمام وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ قائلا:

«بُؤْسًا لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ فَقِيلَ لَهُ مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ،وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ».(٣)

وتحدث الإمام عن بقائهم وما سينال الأمة من ويلات على أيديهم وكأن الإمام يتحدث عن التكفيريين في هذه المرحلة ودورهم الخطير في ضرب الأمة؛ فقد قيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم فقال ‹عليه السلام›:

«كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصًا سَلَّابِينَ».(٤)

وهكذا خاض الإمام علي ‹عليه السلام› ثلاث معارك مهمة كان قد أخبره بها النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في حديث صحيح لدى جميع المسلمين.

فقد روى علي ‹عليه السلام› فقال: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وروي عن ابن مسعود قال: أُمر علي بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

---

(١) نهج البلاغة ج١ ص ٨٠.

(٢) قال الشريف: يعني بالنطفة ماء النهر وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيرًا جَمًّا وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه. نهج البلاغة ج١ص٩٤.

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٣٢.

(٤) نهج البلاغة ج١ص٩٤.

وعن أبي أيوب قال: قال لنا رسول الله ‹صلى الله عليه وآله وسلم›: «تقاتلون الناكثين، والقاسطين، والمارقين». قلنا: مع من يارسول الله؟ قال: «مع علي».

وروي عن النبي ‹صلى الله عليه وآله وسلم› الخبر المشهور، أنه قال: «يأتي قوم من بعدي، يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرمية»[1] بل وصف النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› الخوارج بأنهم كلاب أهل النار.

وهكذا انقضت السنوات الخمس من حكم الإمام علي ‹عليه السلام› مثقلة الخُطَا مجهدة الأيام اجتمعت عليه المحن والمصاعب من كل حدبٍ وصوب. فمن وقعة الجمل إلى مأساة صفين إلى مشكلة الخوارج.. تئز العاصفة الهوجاء في وجهه فتحيل الدنيا سوادًا، وأرزاءً وخطوبًا.. وعلي ‹عليه السلام› ذلك البطل الذي يقابل الأحداث بقلبٍ ثابت وفكرٍ ثاقب وإيمان عميق.. لقد قابلها بثبات المؤمن وقوة البطل وصبر المحتسب حتى قالوا عنه: (لولا محاربة علي لأهل القبلة ما عرف العرب آداب الحرب)[2].

يقول الدكتور سعيد عاشور:

ونحن نجد أن الإمام عليًّا ‹عليه السلام› عندما تولى الخلافة أراد تصحيح أوضاع الأمة الإسلامية في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية مما أثار عليه أصحاب المطامع والأهواء حتى نكث عليه الناكثون وبسببهم كانت معركة (الجمل) ونحن نعرف أن ذلك العمل هو الذي دفع بمعاوية للخروج على إمام الحق وكانت معركة (صفين)، ونعرف أيضًا أن هاتين المعركتين تولد منهما خروج طائفة ثالثة وكانت معركة النهروان ونعرف أن هذه الطوائف الثلاث هم الناكثون والقاسطون والمارقون.

الإمام علي (عليه السلام) بذل كل جهوده

لقد عمل الإمام علي (عليه السلام) على أن يصنع من واقع أصحابه الجهادي

(١) لوامع الأنوار ج٢ ص ٤٣٩.
(٢) في رحاب أئمة آل البيت. باختصار.

نموذجًا إيمانيًا يطابق الرؤية القرآنية؛ ليكون في واقعه قرآنًا يمشي، قرآنًا يتحرك في واقع الحياة؛ ليكون ذلك النموذج الذي قدمه القرآن الكريم إلا أن الإمام اصطدم بروحية اللامبالاة التي كان يحملها الكثير من أصحابه، اصطدم بقلة الإيمان وانعدام الوعي الذي سيطر على نفوس أصحابه.

وهكذا ازداد الوضع سوءًا نتيجة لهذا التخاذل الذي سيطر على أصحابه الذين لم يستطع الإمام بمؤهلاته وقدراته أن ينقلهم من تلك الحالة السيئة التي تربوا عليها خلال الفترة الماضية بالرغم من بلاغته وما يملكه من بيان؛ لأن المشكلة كانت أنهم ممن لا يفتحون آذاهم لما يقدم إليهم ولم يكونوا ينظرون للإمام علي ‹عليه السلام› على أنه إمامهم وولي أمرهم وأن عليهم التسليم لكل ما يقدمه إليهم.

كان هناك صفوة من أصحابه فقد الكثير منهم في الحروب السابقة والبقية يتعرضون للتصفية من قبل معاوية وعمرو بن العاص يساعدهم في ذلك حالة التخاذل التي نخرت جيش الإمام علي ‹عليه السلام› ولنستمع إلى الإمام علي وهو يتحسر عند تذكره تلك الصفوة من أصحاب النبي ‹صلوات الله عليه وآله› الذين عايشهم الإمام ووقفوا معه بإخلاص ووفاء وكيف صارت الحال في تلك المرحلة التي هو فيها ومما قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ المَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا لِلّٰهِ أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟ أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللّٰهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى، مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ، قَدْ وَاللّٰهِ لَقُوا اللّٰهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟! أَيْنَ عَمَّارٌ؟! وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟! وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟! وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى المَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ؟!».

قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ.

ثُمَّ قَالَ ‹عليه السلام›: «أَوِّه عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ».[1]

نهاية الرحلة

وأخيرًا عليٌّ يحط الرحال بعد رحلة طويلة بدأت من بيت الله الحرام وختمت بمسجد الكوفة شهيدًا كما كان يتمنى، وما بين مولده في الكعبة واستشهاده بمحراب مسجد الكوفة تاريخ حافل بالجهاد والتضحية والمعاناة من أجل هذه الأمة. رحل بعد أن طهر الأرض من أغلب المفسدين والمضلين طوال حكمه في معارك لا تقل أهمية عن تلك المعارك التي خاضها مع أخيه ورفيق دربه رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› الذي قال له: «**ستقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله**» والذي أوصاه بقتال «**الناكثين والقاسطين والمارقين**».

صحيح أن الإمام كان يقول: «**لو استوت قدماي لغيرت أشياء**» فقد كان ‹عليه السلام› يأمل أن يعيد الأمة إلى وضعها السابق على ما كانت عليه في زمن النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ولكنه وإن لم يصل إلى مبتغاه إلا أنه قد حقق الكثير والكثير من الإصلاحات وقضى على الكثير من رؤوس الضلال وصحح الكثير من المفاهيم ولولا المعارك التي خاضها الإمام علي عليه السلام وما حققه لتحوّل الإسلام إلى أسوأ من المجوسية؛ ولذلك فالإمام علي انتصر على أعداء الله بانتصار القضية التي تحرك من أجل تحقيقها وإعادة الصورة الناصعة للدين بعد أن كانت قد تغيرت صورته على أيدي من سبقوه.

لولا مواقف علي لما وصل إلينا الإسلام بنقاوته

عاش الإمام علي ‹عليه السلام› مجاهدًا في سبيل الله، عاش أمينًا، عاش صادقًا، عاش ناصحًا، عاش حُرًا، عاش ينطق بالحق.. ولولا علي، لولا كلمة علي، لولا مواقف علي لما وصل الدين إلينا بنقاوته، لما وصل الدين إلينا بصفائه من داخل ظلمات

(١) نهج البلاغة ١/ ٢٦٥.

ذلك الانحراف الذي أوصل معاوية - وهو اللعين ابن اللعين - إلى سُدَّةِ الحكم، إلى أن يتحكم على رقاب هذه الأمة.[1]

ذكرى حزينة

في التاسع عشر من شهر رمضان من عام ٤٠ هجرية تحدث مأساة للأمة، مأساة للدين، مأساة للبشرية، مأساة تفرض علينا أن نحزن لها في هذا العصر وفي كل عصر، وكيف لا نحزن والرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› قد قال في حديث إن ذلك الذي يقتل الإمام علي بن أبي طالب ‹صلوات الله عليه› هو أشقى الأمة، جلب الشقاء على هذه الأمة من ذلك الزمان إلى اليوم.

الإمام علي ‹عليه السلام› بفضله، بمقامه، بسبقه، بكماله، بعنائه الكبير، وجهاده المستمر المرير في سبيل إعلاء كلمة الله، تحت راية رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.

كيف لا تكون ذكرى حزينة أن نرى ذلك البطل، ذلك العظيم، ذلك العَلَم يسقط شهيدًا. هل كان سقوطه ذلك في مواجهة مع أعداء الإسلام فكان السيف الذي قُتل به من خارج هذه الأمة؟ إنه وللأسف الشديد، والذي يدل على الشقاء الذي وقعت فيه هذه الأمة أن عليًا ‹صلوات الله عليه› يسقط شهيدًا في عاصمة دولته، في باب محرابه، في فِنَاء مسجده، وسط هذه الأمة، وبسيف محسوب على هذه الأمة، وبمؤامرات من قبل مَن أَصبح فيما بعد خليفة يحكم هذه الأمة، والكل تحت عنوان: إسلام ومسلمين.[2]

لماذا سمي قاتل علي بأشقى الأمة؟

لماذا كان الشخص الذي قتل الإمام عليًا عُدَّ أشقى هذه الأمة؟ كم أشخاص يقتلون آخرين، وكم آخرين يقتلون، لماذا عُدَّ ذلك الشخص أشقى الأمة؟ إلا لأنه ارتكب جريمة كبرى بحق الأمة كلها، فجلب الشقاء عليها كلها جلب الشقاء على هذه الأمة من ذلك الزمان إلى اليوم.

---

(١) استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.

(٢) الشهيد القائد السيد حسين في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.

لماذا؟ لأنه قتل رجلًا عظيمًا؛ ولأنه لا يغيّر مجرى التاريخ، لا ينهض بالأمم إلا الرموز من عظمائها.

الإمام علي شخصيةٌ عظيمة، رجلٌ عظيم يُقتل في فترة الأمة في أمس الحاجة إلى مثله، ليغير مجرى التاريخ، بعد فترة من الانحراف كان بالإمكان لو استقر له الأمر أن ينشئ الأمة من جديد، ويعود بها من جديد إلى تربية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فيتغير مسار التاريخ كله، يتغير وجه التاريخ كله، تتغير وضعية هذه الأمة بكاملها، فجاء هذا الرجل ليقتل ذلك الشخص العظيم الذي الأمة في أمس الحاجة إليه، فجلب الشقاء على هذه الأمة من ذلك اليوم إلى الله أعلم إلى أي زمن سيكون، فسمي: أشقى الأمة.[1]

أفي سلامةٍ من ديني ؟

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

عندما نرى عليًّا ‹صلوات الله عليه›، نرى فيه المنهجية التي سار عليها رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، نرى فيه القرآن الناطق كما قال هو عن نفسه.

إذًا فلنستنطق عليًّا فيما يتعلق بقضايانا، الأحداث التي مر بها علي، المواقف التي سار عليها علي، التوجيهات التي أطلقها الإمام علي، فيما يتعلق بتصحيح عقائدنا، فيما يتعلق بترسيخ إيماننا، ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية التي جاء بها كتابنا، ورسولنا ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.

ففي موضوع الشهادة مثلاً، موضوع الشهادة، لقد كان الإمام علي على علم عن رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› يوم أن أخبره بأن لحيته سَتُخْضَب من دم رأسه.

هذا الخبر لو يأتي لشخص منا - ربما - قد يكون مزعجًا، لو يأتي هذا الخبر لشخص منا قد ينظر إلى ما حوله، ينظر إلى أسرته، إلى أولاده، إلى ممتلكاته إلى مظاهر الحياة من حوله فيبدو متأسفًا ويودع نفسه حينًا بعد حين وينتظر متى يخضب دم رأسه لحيته، لكن عليًّا كان يهمه شيء واحد.

كيف أجاب على الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله›؟. قال: «**يا رسول الله أَفِي**

(١) الشهيد القائد السيد حسين من محاضرة: (وإنه لذكر لك ولقومك).

سلامة من ديني؟ أفي سلامة من ديني يحصل هذا؟» قال: «نعم». قال: «إذًا لا أبالي مادام ديني سليمًا».

الإمام علي عندما يقول بهذه العبارة يعطينا إشارة مهمة جدًا، وكأنه يلحظ من خلال ما يسمع من رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› أنه سيحصل ضلال، يحصل انحراف، تحصل فتن. يهم أي إنسان حريص على سلامة نفسه أن يبحث عن سلامة دينه، وأن يحرص على سلامة دينه.

لو كانت الأمور عند الإمام علي ‹عليه السلام›، في رؤيته - يوم قال له الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بهذا الكلام - هو أن هذه الرسالة ستمشي بشكل طبيعي، وسيكون الناس كلهم هكذا بشكل صحيح يسيرون جيلًا بعد جيل لما سأل الرسول: «أفي سلامة من ديني؟».

ناهيك عما إذا كان قد قال له: إن الذي سيقتله هو أشقى هذه الأمة، أي من هذه الأمة، وهو من يجلب الشقاء على هذه الأمة، وشبَّهه بعاقر ناقة ثمود الذي جلب الشقاء على تلك الأمة فجعلها تستحق عذابًا شديدًا من الله، استأصل تلك الأمة بأكملها.

«أفي سلامة من ديني يا رسول الله؟» ما أحوجنا إلى هذه المشاعر!.

تجد الإمام عليًا تأكد أيضًا بأنه فعلًا كان قرينًا للقرآن، ولا يزال قرينًا للقرآن، إن هذا هو منطق القرآن نفسه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢] أليس هذا توجيه يحث كل إنسان منا على أن يكون حريصًا على أن يسلم له دينه؟ وأن يكون كل ما يهمه هو أن يسلم له دينه، على الرغم من كل ما يواجهه، على الرغم من أي شيء يمكن أن يواجهه حتى وإن كان خبرًا مؤكدًا على نحو ما جاء لعلي ‹صلوات الله عليه›: «ستخضب هذه من هذا» وأشار إلى لحيته ورأسه؟.

ومن خلال هذا نعرف موقعنا نحن من القرآن ومن قرين القرآن، عندما نجد الكثير منا، الغالبية العظمى منا يضحي بدينه من أجل احتمال أن تسلم له دنياه، احتمال أن تسلم له قدماه ناهيك عن رأسه، أو لاحتمال ألَّا يبيت ليلة في سجن من السجون، لاحتمال ألَّا يضحي بمبلغ من المال في سبيل إعلاء كلمة ربه، أليس كثير من الناس على هذا النحو؟!.

كأننا نقول للقرآن نفسه عندما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] أفي سلامة من دنيانا يا قرآن الله؟!. عندما يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[آل عمران: ١٠٤] تمام، لكن هل في سلامة من دنيانا ورؤوسنا وأقدامنا وأيدينا يا كتاب الله؟!.

إن كل إنسان يتولى عليًّا، إن كل إنسان مصدق برسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وبكتاب الله يجب أن تكون مشاعره على هذا النحو الذي كان يسيطر على مشاعر علي ‹عليه السلام›: «**أفي سلامة من ديني يا رسول الله؟**». قال: «**نعم**»: «**إذًا لا أبالي**».

ولقد كان يقول: «**والله لا أبالي أوقعتُ على الموت أو وقع الموتُ عَلَيَّ**» إن كل شيء يهمه هو أن يكون هناك السلامة لدينه، فلتخضب دماء رأسه لحيته، وليتقطع إرْبًا، وليكن ما كان ما دام دينه سالمًا له.

وهذه هي الرؤية الصحيحة، هذه هي السلامة لمن يبحث عن السلامة، الإنسان لا يمكن أن يسلم إذا لم يسلم له دينه، لا في دنياه ولا في آخرته، ما الذي جعلنا نُظلم؟ ما الذي جعلنا نُقهر ونحن ملايين؟ نمتلك الإمكانيات الكبيرة، نمتلك الجيوش، نمتلك الثروات الضخمة والهائلة في باطن الأرض وظاهرها، نمتلك رقعة استراتيجية مهمة؟ لأن ديننا لم يسلم لنا، فوجدنا أنفسنا لم نسلم من الذل، لم نسلم من القهر، لم نسلم من النهب.

أصبحت هذه الأمة ذليلة، أصبحت مستضعفة، أصبحت مقهورة؛ لأنها لم تفكر تفكير قرين القرآن «**أفي سلامة من ديني؟**»، وحينها عندما تنطلق لتبحث عن السلامة لنفسك وأنت لا تفكر في أن يسلم لك دينك فلن تسلم نفسك، لن يسلم عِرْضك، لن تسلم كرامتك، وفي الأخير لن تسلم أنت في الآخرة يوم تلقى الله، لن تسلم سوء الحساب، لن تسلم نار جهنم.

إنها الرؤية الحكيمة، ليست رؤية ذلك الذي يفكر في ممتلكاته البسيطة، يفكر في نفسه هو فيرى نفسه أغلى من الدين كله، يرى نفسه أغلى من نفس الرسول، أغلى من نفس علي، أغلى من نفس الحسن، أغلى من نفس الحسين.

متى يمكن أن يكون لإنسان يفكر هكذا تفكير قيمة عند الله؟ متى يمكن أن يُمنح إنسان على هذا النحو عزة من الله؟ لا، إنه بهذا التفكير يُعتبر تجسيدًا صادقًا لمن

يَعْشُو عن ذكر الرحمن ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

كم هو الفارق بين أن تكون في الاتجاه الذي يمنحك الله فيه العزة، يمنحك الله فيه القوة، التأييد، يمنحك الله فيه سلامة آخرتك وإن لم تسلم دنياك؟ كم هو الفارق بين واقع شخص على هذا النحو وبين شخص يُقَيِّض له الله شيطانًا يصبح قرينًا له ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الزخرف:٣٧] وواقع إنسان يُسلط الله عليه شرار عباده، يسلط الله عليه من يسومه سوء العذاب في دنياه، وفي يوم القيامة سوء الحساب، وسوء العذاب في نار جهنم؟ نعوذ بالله من نار جهنم.

إن عليًّا ‹ عليه السلام› - وإن وجدناه (سَقَطَ) بل نقول صعد إلى ربه شهيدًا - إنه لا يزال حيًّا كما أن هذا القرآن الذي قرنه به الرسول حيًّا، حيًّا فيما يعطيه من هدى، من نور، من دروس، من عظة، من عبر، حيًّا فيما يعطيه الأحرار، فيما يعطيه المجاهدين، فيما يعطيه الصادقين من دروس تجعلهم يذوبون في هذا الدين.

أنت عندما تنظر إلى نفسك، أنا عندما أنظر إلى نفسي، وأنظر أيضًا إلى علي ‹صلوات الله عليه› فأكون حريصًا على سلامة نفسي وإن كان ثمن ذلك أن أُلقي بعلي، وبدين علي، وبمنهج علي، وبتوجيهات علي عرض الحائط، هذا يعتبر من أسوأ الانحطاط الذي يمر به الإنسان.

هل يمكن أن أرى نفسي، أو أي واحد منا يرى نفسه أغلى من نفس علي ‹صلوات الله عليه›؟!. هل يمكن لأحد منا أن يرى نفسه، أن يرى دمه أغلى من دم علي ‹ عليه السلام ›؟!. لا يمكن لأحد أن يقول لنفسه هكذا وإن كان واقع الكثير منا هكذا.

فعليٌّ ‹صلوات الله عليه› عندما وجدناه كان يستقبل ذلك الحدث الذي يتوقعه: أن يخضب دم رأسه لحيته ويسقط شهيدًا، لم يكن منزعجًا من ذلك، كان الذي يزعجه هو ما يرى الأمة فيه وهي تسير باتجاه ذات الشمال، وهي تبتعد حينًا بعد حين، ومسافات طويلة تبتعد عن كتاب الله، وعن منهج رسوله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.[1]

(١) ذكرى استشهاد الإمام علي‹عليه السلام›.

فزت ورب الكعبة

ثم نأتي إلى موضوع آخر هو: كيف كان استقبال علي ‹ عليه السلام › للشهادة؟.

قد تحدثنا عما الذي أوصل الإمام عليًا ‹صلوات الله عليه› إلى أن نراه يخرُّ صريعًا في وسط أمة مسلمة، وداخل بيت من بيوت الله، كيف كان استقباله للشهادة هو؟. لنعرف أن الإمام عليًا ‹صلوات الله عليه› كان يرى أن مقام الشهادة مقام عظيم، وأنها أمْنيَة كان يطلبها، أنها أمنية كان يسأل رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› عنها هل سيحصل عليها؟، ومتى سيحصل عليها؟.

استقبلها الإمام علي ‹عليه السلام› استقبال من يعرف كرامة الشهيد، عظمة الشهيد. فعندما خرَّ صريعًا بعد تلك الضربة قال ‹صلوات الله عليه›: «**فُزْتُ ورب الكعبة**».

بينما نرى التاريخ يحكي عن أشخاص آخرين ممن سبقوه أن أحدهم تمنى عند احتضاره أنه كان بَعَرَات لخروف تتساقط هنا وهناك، لكن عليًا ‹صلوات الله عليه› قال: «**فزت ورب الكعبة**»؛ لأنه على يقين من سلامة دينه، على يقين من صحة موقفه، على يقين من صحة نهجه، على يقين من أن الله سبحانه وتعالى قد منح الشهداء، وأعطى الشهداء الكرامة التي تجعل مثله - على الرغم من عباداته الكثيرة - يصرخ بهذه الكلمة العظيمة مقسمًا: «**فزت ورب الكعبة**».

ما أحوجنا - أيها الإخوة - إلى أن نستلهم من علي ‹صلوات الله عليه› الصبر على الحق، الصمود في مواجهة الباطل، استقبال العناء والشدائد بصدور رَحْبَة، بعزائم قوية، بإرادات لا تُقهر، برؤية واضحة، ببصيرة عالية فنكون ممن يحمل شعور علي حتى في لحظة الاستشهاد، في لحظة اغتياله يرى نفسه مسرورًا «**فزت ورب الكعبة**».

لماذا سماه فوزًا؟. وهل يمكن للكثير منا.. الذي يرى نفسه فائزًا أنه لم يُقْحم نفسه - كما يقول الكثير - في مشكلة، أنه لم يدخل في عمل ربما يؤدي إلى مشكلة، أنه يبتعد مسافات عن أن يحصل عليه أبسط ما يحتمل من ضر في ماله أو في نفسه، هل يمكن لأحد ممن يفكر هذا التفكير أن يقول عندما يحتضر، عندما تأتيه ملائكة الموت: «**فُزتُ ورب الكعبة**»؟!. لا والله، بل ربما يصرخ مُتَأَوِّهًا، بل ربما

يَبْهَرُه الموت - كما قال الإمام علي ‹صلوات الله عليه› وهو يوصي ابنه الحسن ويحذره من أن يكون على طريقة سيئة عندما يفاجئه الموت - قال: «**فيَبْهَرَك**». نعوذ بالله من بَهْرَة الموت.

متى تكون بَهْرَة الموت؟ عندما تكون أنت من لم تحرص على سلامة دينك، من لم تُضَحِّ من أجل دينك، من لا تعتبر السقوط شهيدًا في سبيل الله من أجل سلامة دينك فوزًا، سيبهرك الموت، وسيبهرك الحشر، وستبهرك زبانية جهنم.. هذا شيء لا شك فيه.

الإمام علي عندما يقول: «**فزت ورب الكعبة**»؛ لأنه سار على منهجية هي منهجية يفوز من سار عليها.[1]

وبتميزه هذا وبروحيته هذه استقبل الشهادة فهو قال عندما أصيب، عندما ضربه ابن ملجم لعنه الله بالسيف على رأسه قال ‹عليه السلام› كلمته الشهيرة التي لها دلالات عميقة وكبيرة: «**فزت ورب الكعبة**» هكذا استقبل الشهادة في سبيل الله مطمئن القلب مرتاح البال إلى ماضيه وإلى مستقبله إلى ماضيه بما كان عليه أنه كان ماضيًا سليمًا صحيحًا على أساسٍ صحيح في مسارٍ صحيح يوصل إلى نتيجة مستقبلية هي الفوز برضوان الله والفوز بجنته «**فزت ورب الكعبة**» بكل ثقة بكل اطمئنان بكل يقين.

قال هكذا: ورب الكعبة مقسمًا مطمئنًا إلى مستقبله لأنه كان في المسار الصحيح للإسلام، الإسلام كما هو بتعاليمه بروحيته بأخلاقه بمواقفه، ثم كان ذلك الذي يقول وهو على فراش الشهادة في آخر لحظات الحياة الدنيا «**ما فاجأني من الموت واردٌ كرهته ولا طالعٌ أنكرته**» فأنا ما تفاجأت بالموت ولا كرهت مجيئه لأنه كان مطمئنًا إلى مستقبله عند الله «**وما كنت إلا كقاربٍ ورد، وطالبٍ وجد وما عند الله خيرٌ وأبقى**» اطمئنان لضميره وقلبه إلى مستقبله العظيم عند الله سبحانه وتعالى، فهكذا كان، وهكذا كان متميزًا متطلعًا دائمًا إلى ما عند الله لا يأبه بالموت أبدًا وهو الذي قال: «**والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل الرضيع بثدي أمه**» ربما لا يساوي هذا الأنس أنس، أنس الطفل الرضيع بثدي أمه لكنْ علي كان

(١) استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.

آنس بالموت لأنه يرى في الموت نقله إلى ما عند الله وهو دائمًا يتطلع إلى ما عند الله. هذا قليلٌ قليل، أقل القليل مما يمكن أن نقوله عن علي فهو مدرسة متكاملة نعرف من خلالها ونرى من خلالها الإسلام بكل كماله الإسلام بكل جماله الإسلام بحقيقة مبادئه الإسلام بعظم أخلاقه الإيمان بجلاله وجماله.

الإمام علي ‹عليه السلام› يقدم وصيته الأخيرة

قبل أن يغادر الإمام علي ‹عليه السلام› هذه الحياة إلى الحياة التي تليق به عند أخيه رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وعند زوجته فاطمة الزهراء ‹عليها السلام› وعند إخوانه الذين سبقوه أوصى ولديه الحسن والحسين ‹عليهما السلام› بهذه الوصية:

«أُوصيكُمَا بِتَقْوَى اللّه، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا، أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللّه، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ‹صلى اللّه عليه وآله› يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، اللّهَ اللّهَ فِي الْأَيْتَامِ فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ، وَاللّهَ اللّهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ، وَاللّهَ اللّهَ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ، وَاللّهَ اللّهَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ، وَاللّهَ اللّهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا، وَاللّهَ اللّهَ فِي الجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّه، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ».

ثُمَّ قَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ خَوْضًا، تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي، انْظُرُوا إِذَا أَنَا مُتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ وَلَا تَمْثُلُوا بِالرَّجُلِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ (صلى اللّه عليه وآله) يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».[1]

(١) نهج البلاغة ٢/ ٤٢٣.

الإمام الحسن يودع والده

ودع الإمام الحسن والده الإمام علي عليه السلام بحزن وألم ومما قال:

"أيها الناس لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، لقد كان الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله على يديه."

معاوية هو المتهم بترتيب عملية اغتيال الإمام علي ‹عليه السلام›

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

معاوية هو المتهم بترتيب عملية اغتيال الإمام علي ‹عليه السلام› اتهمه بهذا أبو الأسود الدؤلي في أبيات يرثّي بها الإمام عليًا ‹عليه السلام› وهو معاصر للحدث.

ومن الأبيات التي قالها أبو الأسود الدؤلي في رثاء الإمام علي عليه السلام:

ألا أبلغ معاوية ابن حرب	فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وفارسها ومن ركب السفينا

وفي الحقيقة أن أهل العراق كانوا قد قتلوا عليًا وهو كان لا يزال حيًا يوم كانوا يتثاقلون عنه، ويتباطؤون عنه، حتى قال: «**اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيرًا لي منهم، وأبدلهم بي شرًا لهم مني**».

قتلوا قلبه وهو لا يزال ينبض: «**قاتلكم الله**» كان يقول هكذا: «**قاتلكم الله يا أهل العراق لقد ملأتم صدري قيحًا**» ثم قتل بالسيف، قتل فعلاً، واستشهد ‹صلوات الله عليه›، أليس هذا هو أول رجل بعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في هذه الأمة من القائمين بالقسط؟ ممن هم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل؟.[1]

❋❋❋

(١) ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.

لماذا استهدف الإمام علي ‹عليه السلام›

وما هي الدروس والعبر؟

استهداف الإمام علي هو استهداف للإسلام

فالإمام علي ‹عليه السلام› بمنزلته العظيمة في الإسلام بكماله بفضله بسبقه يُقتل ويلقى الله شهيدًا في مسجده في محرابه في عاصمة دولته بسيف محسوب على أنه من الأمة في شهر رمضان المبارك بما تبع استشهاده من تحولات في واقع الأمة وهو ‹عليه السلام› حين استشهد لم يكن مجرد حاكم يحكم الأمة الإسلامية شأنه شأن أي حاكم يقتل أو يموت فيأتي البديل وانتهى الأمر، بل كان ‹عليه السلام› يمثل امتدادًا للإسلام المحمدي الأصيل بقرآنه ونهجه ومسار أستاذه ومعلمه ومربيه وقدوته وقائده الحبيب المصطفى نبي الله محمد ‹صلى الله عليه وآله وسلم› كان يمثل امتدادًا لأخلاق الإسلام لمنهجه ومشروعه الكبير في بناء الأمة الإسلامية لتكون بمستوى مسؤوليتها العالمية الكبرى في بناء الحياة ونشر الحق والعدل والخير في العالم.

فاستهدافه لم يكن مجرد استهداف لشخصه بل استهداف لذلك المشروع كله، لإحلال البديل الناقص والمحرف الذي يتلاءم مع الظالمين والمستبدين والمجرمين وممارساتهم وما يتركونه من أثر سلبي في الحياة.[1]

الإمام علي ‹عليه السلام› عندما استهدف وهو بهذا المستوى وله الدور المهم في الحفاظ على مسار الإسلام المحمدي الأصيل ليبقى له أصالته ليبقى له نقاؤه ليبقى له حضوره في واقع الحياة وتأثيره وسيادته في واقع المسلمين ليحافظ على هذا الإسلام وليربي الأمة على قيمه وأخلاقه وليرسخ مبادءه وأخلاقه في نفوس أبناء الأمة.

---

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.

عندما استهدف وهو بهذه الأهمية وهو بهذا المستوى وله هذا الدور المهم جدًّا كان الاستهداف له استهدافًا للإسلام في مساره الصحيح، استهدافًا للإسلام في مسار الحق ومسار العدل ومسار الأصالة والنقاء من القوى التي انقلبت على الإسلام في مفاهيمه في قيمه في مبادئه المهمة.

وأرادت الإسلام شكلًا يخدمها ولا تخدمه وتطوعه ولا تتطوع له، وأرادت الإسلام زيفًا تتغنى به وتستغل بعض شعائره لتثبيت سلطتها وإحكام قبضتها وتركيز هيمنتها وإحكام سيطرتها على الأمة في كل واقع الأمة. القوى الانقلابية على قيم الإسلام ومبادئ الإسلام النازعة للاستبداد، الجموحة التي تريد الظلم والهيمنة والاستبداد والتجرد من قيم الإسلام العظمى وفي مقدمتها العدل والحق والخير ومكارم الأخلاق، وأرادت أن تتحرر من كل تلك المبادئ والقيم التي ترى فيها قيودًا تحد من نزعتها وتحد من هيمنتها وتحد مما تعتبره مصالح لها.

القوى الانقلابية قامت بتخطيط وتنفيذ تلك الجريمة الكبرى التي كانت جريمة بحق الإسلام وجريمة بحق الأمة ولم تكن جريمة فقط بحق شخص علي‹عليه السلام›.

تلك القوى التي كانت ضمن توليفة عجيبة توليفة بقيت وما زالت الآن تعاني الأمة منها الأمرين توليفة سياسية ثقافية فكرية ضالة منحرفة قوة باسم الدين تتحرك بنزعة فيها الغلو والإفراط والتجاوز والغباء، وتتحرك تحت عنوان الدين تكفيرًا ومحاولة لوصم المؤمنين بأنهم الكافرون، ثم جهة أخرى سياسية توظف تلك القوى التكفيرية التي لها توجه تكفيري مرتبط بمصالح مادية فتوظف تلك القوة التكفيرية العمياء الصماء التي لا تبصر الحق ولا تفهمه، تتحرك وتحرك من تلك القوى النازعة للسلطة والاستبداد والطامعة بالسيطرة على الأمة ومقدراتها والعاشقة للحكم والمنصب، فنفذت تلك القوى بتوليفتها السياسية والثقافية الضالة المنحرفة جريمتها الكبرى بحق الأمة فجلبت الشقاء وارتكبت جريمة كبيرة بقيت لها تداعياتها.

كان الإمام علي ‹عليه السلام› يمثل عقبة كبيرة أمام تلك القوى الانقلابية التي تريد أن تسيطر على الأمة وأن تحقق لنفسها الهيمنة والسلطة بدافع النزعة الاستبدادية بدافع المصلحة الفردية بدافع الأطماع وللأسف في مرحلة أصبح

واقع الأمة الإسلامية واقعًا كبيرًا أمة كبيرة تمثل القوة الكبرى في الأرض القوة التي يهيىء لها في الواقع العام في الظرف ذاك أن تنتصر بدينها بقيمها وأخلاقها وتعممها في ربوع الأرض لتؤسس لمستقبل جديد في تاريخ البشرية كله وفي بقاع الأرض بأجمعها، لكن للأسف حرف مسار الأمة أبعد الأمة عن مسؤوليتها الكبرى وعن رسالتها المهمة وعن دورها العظيم المقدس، الأمة التي يراد لها أن تكون أمة الخير وأمة الحق وأمة العدل وأن تنشر رسالة الله بما في رسالة الله من قيم ومبادئ وأخلاق تصلح واقع البشرية وتصلح واقع الإنسان وتبني الحياة بناءً صحيحًا سليمًا تتيح للإنسان أن يؤدي دوره كمستخلف في الأرض بأرقى ما يمكن وبأسمى ما يمكن من خلال ارتكازه في انطلاقته الحضارية واستخلافه في الأرض على تلك القيم وتلك المبادئ العظيمة، هذه الأمة بمسؤوليتها الكبرى برسالتها عندما استحوذ عليها الأشرار الانقلابيون على الرسالة العظيمة على مبادئها المثلى ليس فقط حرفوا مسار الأمة عن مسؤوليتها بما نتج عن ذلك من تداعيات سلبية في واقع الأمم الأخرى والشعوب الأخرى بل حتى على مستوى الأمة نفسها أن تحتفظ الأمة ولو على مستوى واقعها الداخلي وهي الأمة التي أخرجت للناس بنشر الحق والخير والعدل للناس ولتنقذ البشرية وتعتقها من هيمنة الطاغوت، لم تحتفظ ولو على مستوى نفسها بتلك القيم لتكون هي الأساس في بناء واقعها والأساس في حكم واقعها والأساس في ترتيب وضعها والأساس في مسار حياتها ولو على هذا المستوى.

ولقد كان الإمام علي ‹عليه السلام› بما كان عليه من مقام عظيم ومن إيمان عال كان هو رجل المسؤولية كان هو الكفؤ لأن يقود الأمة في المسار الذي أراده الله لها وأراده الرسول لها مسار العدل والمثل والمبادئ العظيمة، مسار الحق والعدل والخير والمسار المقدس بكل ما يمثله الإمام علي ‹عليه السلام› من ثقل وتأثير وفاعلية وكفاءة كبيرة للسير بالأمة في هذا المسار العظيم كانت ترى فيه القوى الانقلابية عقبة كبيرة فتحركت ضد الإمام علي ‹عليه السلام› تحركت ضده بكل ما تستطيع على المستوى الثقافي والفكري، الاستهداف الإعلامي، ثم التصفية الجسدية حروب إلى غير ذلك. الإمام علي ‹عليه السلام› كما استهدف ليقتل استهدف ليشوه استهدف للحط من مكانته ومقامه وما نرى عليه الواقع العام لدى

كثير من الحكومات والدول والقوى عندما نرى كيف تعمد دائمًا إلى تغييب هذا المقام لعلي ‹عليه السلام› هذا كله إنما هو أثر من ذلك الاستهداف، أثر من ذلك الاستهداف، استهداف استمر باستمرارية أثر علي ‹عليه السلام› وباستمرارية فاعلية الدور الذي قام به علي ‹عليه السلام› في الحفاظ على الحق الذي له حضور ووجود حتى وإن حورب حتى وإن حوصر حتى وإن تكاثر الباطل من حوله. الإمام علي ‹عليه السلام› قال عنه الرسول ‹صلوات الله عليه وآله› إنه سيقاتل على تأويل القرآن «**إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله**» وحينما سألوه من؟ قال: خاصف النعل. وكان الإمام علي ‹عليه السلام› يخصف نعل رسول الله ‹صلوات الله عليه وآله› حينما قال هذه المقوله، «**يقاتل على تأويل القرآن**» يحافظ على تلك المفاهيم الناصعة، المفاهيم الصحيحة للقرآن الكريم للإسلام العظيم لتبقى هي القائمة في واقع الأمة، والحاضرة في واقع الأمة والمعتمدة في رؤيتها وفكرها وثقافتها وتوجهها؛ لأنه عندما تحرف مفاهيم القرآن يحرف الإسلام في كثير من معالمه، في كثير من مبادئه، في كثير من أسسه؛ فيبقى من الإسلام شكل لا لُبَّ له، ويبقى منه زيف بعيد عن الواقع؛ فيظلم واقع الأمة التي تنتمي للإسلام؛ فلا نرى عظمة الإسلام في واقعها، ولا أثر الإسلام في حياتها، يصبح الإسلام دينًا لا أثر له في الواقع، لا أثر له في الحياة، فالمنتمون إليه لا يعتزون به، لماذا؟! لأنه حُرِّفَ. حينما يحرف الإسلام، حينما يذهب من الإسلام أسسه المثلى ذات الأهمية الكبيرة، حينما تحرف مفاهيمه؛ يبقى منه شكل لا تأثير له في واقع الحياة، لا في إحقاق حق، ولا في إبطال باطل، ولا في دفع فساد، ولا في ترسيخ دعائم الخير والصلاح؛ وهذا ما استهدف عليٌّ لأجله، القوى الانقلابية رأت في علي ‹عليه السلام› رأت فيه عقبة أمام مساعيها للسيطرة على الأمة، لتحريف مفاهيم الإسلام بما يتناسب مع ما تريده هي، بما يهيئ لها من السيطرة على واقع الأمة؛ لأن هناك في الإسلام وفي مفاهيم القرآن وفي توجيهات الله سبحانه وتعالى بل في لب الدين الإسلامي ما يراه الطغاة والمجرمون والفاسدون والمستبدون عقبةً كبيرةً أمامهم، فإذا كان الإسلام وهو كذلك دينًا قائمًا على أساس العدل، من مهامه الأساسية للبشرية إقامة العدل في الواقع، هذه مهمة أساسية لكل رسالات الله، جاء بها كل الأنبياء ودعوا إليها وعملوا على إقامتها وإحيائها ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

﴿وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد:٢٥] بالقسط، فإقامة العدل عندما يستشعرها كل مسلم مسؤولية أساسية وقاعدة أساسية في بنيان إسلامه، حينها يرى أولئك النازون على ولاية أمر الأمة المستبدون الطامعون يرون في مفهوم كهذا يترسخ في أبناء الأمة أنه يمثل خطورة كبيرة عليهم وعائقًا أمام هيمنتهم وسيطرتهم وتسلطهم؛ فغيروا مفاهيم الإسلام لدرجة عجيبة، لدرجة أن جعلوا من المفاهيم المقلوبة المغلوطة المفتراة على الله وعلى رسوله والتي تمثل مسخًا للأمة أن طاعة الظالمين الجائرين المستبدين المفسدين الذين لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنة، أن طاعتهم والرضوخ لهم والصمت عن فسادهم وظلمهم وطغيانهم وإجرامهم عبادة من أعظم العبادات وواجب محتوم على كل مسلم؛ هكذا تحرَّف وتُقلَب المفاهيم، ولهذا كان وجود الإمام علي ‹عليه السلام› يمثل عقبة كبيرة أمامهم، كلما تهيأت له الأمور أكثر لبناء الدولة الإسلامية بشكلها الصحيح على الأسس الصحيحية والسليمة ومن ثم تربية الأمة وترسيخ مفاهيم الإسلام الحق الدين الحق مفاهيم القرآن الأصيلة الصحيحة في أبناء الأمة كانوا يرون في ذلك خطرًا كبيرًا؛ فعملوا على إعاقته وإشغاله ومحاربته واستهدافه طوال فترة حكمه، ومن ثم عمدوا إلى استهدافه وتصفيته جسديًا.[1]

استشهاد الإمام علي مثَّل ضربة كبيرة للمسلمين

منذ اللحظة الأولى، منذ تمكن بنو أمية من إزاحة الإمام علي عليه السلام، واستشهد الإمام علي عليه السلام، تلقائياً مثَّلت هذه ضربة كبيرة للمسلمين، لماذا؟ لأنها عطلت المشروع الإسلامي في تنفيذه في الأمة، في تطبيقه في الأمة، في التحرك به في الأمة من أهم موقع، وهو موقع إدارة شؤون الأمة، الإسلام له مشروعه للحياة، الإسلام ليس مجرد رهبانية للصوامع وفي المساجد، برنامج للحياة، الإسلام له مشروعه التربوي للإنسان، له قِيَمه، له أخلاقه، له مبادئه، له تعليماته، له بناؤه مشروعه البنيوي لبناء الأمة.

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٤هـ.

أهم موقع لإنزال هذا المشروع، لتنفيذ هذا المشروع، لتحريك هذا المشروع في أوساط الأمة، ومن موقع إدارة شؤون الأمة، حينما يُزاح أو حينما لا ينزل عبر هذه الطريق، من خلال هذا الموقع يصبح شيئاً جانبياً وهامشياً في واقع الأمة، حينما تصبح العملية في تقديم مشروع الإسلام، نظام الإسلام، برنامج الإسلام، مبادئ الإسلام، من الواقع الخارجي للأمة، يعني: من الواقع الهامشي في الأمة، ليس من موقع قرارها، من موقع إدارة شؤونها، وإنما حالة عرضية هنا وهناك في هامشها يصبح ضعيف التأثير، وضعيف التنفيذ، ضعيف الحضور، شكلي الحضور، وهذا هو ما جرى في واقع الأمة؛ لأنه أصبح هناك تعارض من موقع إدارة شؤون الأمة، من موقع القرار في الأمة، من حيث تصاغ توجهات الأمة، هناك برنامج ينزل بالتأكيد، وعلى الهامش هنا وهناك حركة هنا، أو حركة هناك، أعلام للحق هنا، أو دعاة للحق، هناك، نشاط لا يمثل النشاط الجوهري من موقع القرار في الأمة، بقي هناك حفاظ على المشروع الإسلامي، كحالة فكرية، حالة ثقافية، لها بعض الحضور في الأمة، لكن لم تبقَ هي كما أراد الله لها، وكما سعى نبي الإسلام، وكما هو برنامج القرآن، أن تكون هي كل شيء في واقع الأمة[1].

سيرة الإمام علي بما تحمله من الدروس تواكب الناس في كل مراحل حياتهم

سيرة الإمام علي عليه السلام هي دروس تُدرَّس، هي مسار يقرأ، تحتاج إلى الكثير والكثير، بل إنها تواكب الناس في كل مراحل حياتهم، وفي كل مسارات حركتهم، وفي كل الظروف والمراحل التي يمرون بها ويعبرونها، في كل زمن، في كل ظرف، في كل حدث، نجد من علي درساً، ونجد في سيرة علي عبرةً، ويلهمنا علي - فيما قال، وفي ما عمل - كيف كان عليه، وفيما كان عليه، يلهمنا كيف يجب أن نكون كمؤمنين في مدرسة الإسلام، وفي أخلاق الإسلام، وفي مبادئ الإسلام.

الإمام علي عليه السلام، الذي قال عنه الرسول صلوات الله عليه وعلى آله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، فالإمام علي عليه

(١) من كلمة للسيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٧هـ.

السلام لهذا الموقع ليس هناك في الأمة من له هذا الموقع، منزلته من رسول الله كما كانت منزلة هارون من موسى باستثناء النبوة، لكنه امتداد للرسالة كهاد، ومعلم، ومرشد، وقائد، وقدوة، ويمتد هذا الدور في أوساط الأمة، وفي تاريخ الأمةً، وفي مستقبل الأمة[1].

دروس وعبر

عندما نستذكر ما حصل للإمام علي ‹عليه السلام› ولغيره من أئمة أهل البيت من بعده فيجب أن يكون تناولها كالآتي:

١ـ كيف نقرأ ما حدث من مآسٍ لأهل البيت عبر التاريخ

يقول السيد حسين رضوان الله عليه وهو يتحدث عن مأساة عاشوراء:

ألَّا نتحدث عما حصل من مآسٍ في التاريخي من الجانب العاطفي فقط، الجانب العاطفي مثير لكن عندما نقتصر في تناولنا لها على هذا الجانب فذلك قد يجعل القضية تتجمد في عصرها، ويجعلنا نحن لا نستطيع أن نستلهم منها الدروس والعبر.

ثم يضيف قائلًا: ولذا حاولنا أن يكون إحياؤنا لهذه الذكرى هو فعلًا حديث عما حدث فيها من مآسٍ كشفت عن وحشية أولئك الظالمين، وخشونة طباعهم، وخبث أنفسهم.

ونعرف أيضًا الأسباب التي أدت لمثل تلك؛ لأنها أسبابٌ الناس يعيشونها في كل عصر، نحن نعيش - فيما أعتقد - الأمة المسلمة هي تعيش الحالة، الحالة نفسها، الأسباب نفسها التي هيأت الظروف لأن يسقط بين أيديها مثل علي والحسن والحسين وزيد ومحمد بن عبد الله النفس الزكية وغيرهم من عظماء أهل البيت، الحالة نفسها واحدة.

سنظل دائمًا نئن ونتوجع من الأحداث ولا نهتدي لحل، ولا نعرف من الذي وراء ذلك، إذا لم نعد إلى دراسة أسباب الأشياء من أولها، نعود إلى دراسة الأسباب الأولى

(١) من كلمة للسيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٧هـ.

للأحداث حتى نعرف ما إذا كان هناك في واقعنا شيء من هذه الأسباب متوفر، شيء من هذه الحالة التي أدت إلى تلك النتائج السيئة تعيش عليها الأمة، فإذا ما وجدنا أنفسنا نعيش نفس الشعور، نعيش نفس الحالة فاعرف بأنك إنما ستكون مثل أهل العراق، مثل أهل الشام الذين ظلوا دائمًا يتوجعون، مثل هذه الأمة من أولها إلى حاضرها، تتوجع من الأحداث، تتوجع من الكوارث، وتئن وتصرخ ولا ترى مخرجًا، ولا تعرف حلا[1].

ويقول رضوان الله عليه:

لا يمكن للأمة أن تعرف كيف ترسم طريقها، لا يمكن للأمة أن تعرف كيف تسلك المنهج الذي تمثل في سلوكه الالتفاف مع الصادقين، الانضواء تحت رايات أعلام الدين، لا بد من استقراء الأحداث، لا بد من معرفة الأسباب، لا بد من معرفة الخلفيات.

وهذه قضية ليست جديدة، نحن عندما نربط سقوط الإمام علي ‹عليه السلام› بحادثة السقيفة على الرغم من قربها فليست قضية مستبعدة، فنحن نسمع اليوم من يقولون عن اليهود: إن الذي جعل اليهود على هذا النحو: يتعاملون مع الأمة بهذه القسوة هو ثقافتهم، تأثر بثقافتهم، تلك الثقافة التي عمرها قرون طويلة قد لا تقل عن ثلاثة آلاف سنة. [2]

٢. خطورة القصور في الإيمان والوعي

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه – في الدرس الأول من دعاء مكارم الأخلاق:

" الحالة التي وصل إليها الخوارج بالذات هي حالة يجب أن نستفيد منها في هذه المرحلة بالذات ونحن في مواجهة مع اليهود، فما حصل هي حالات يخلقها - أحيانًا - ضعف وعي ممن ينطلقون للعمل، وإن كانوا تحت راية علي ‹عليه السلام› ويحملون اسم جند الله، وأنصار الله، لكن وعيهم، لكن إيمانهم القاصر، إيمانهم الناقص أدى إلى أن يرتكبوا جناية على الأمة فظيعة.

---

(١) ذكرى عاشوراء.
(٢) ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.

أولئك (الخوارج)، الخوارج وهم مجموعة من جند الإمام علي ‹عليه السلام› انشقوا عنه في أيام (صفين) بعد أن رفع معاوية وأصحابه المصاحف عندما أحسوا بالهزيمة وقالوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فأولئك المتعبدون على جهل، الجنود الذين هم غير واعين تأثروا بتلك الدعاية! وهكذا سيحصل في كل عصر لأي فئة وإن انطلقوا تحت اسم أنهم جنود لله، وأنصار لله، إذا ما كان إيمانهم ناقصًا، سيجنون على العمل الذي انطلقوا فيه، سيجنون على الأمة التي يتحركون في أوساطها، سيجنون على الأجيال من بعدهم، وهم من انطلقوا باسم أنهم يريدون أن ينصروا الله، وأن يكونوا من جنده لكن إيمانهم ناقص، ووعيهم ناقص."

٣ـ ماذا تتطلب المواجهة مع أمريكا وإسرائيل في هذه المرحلة؟

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه – في الدرس الأول من دعاء مكارم الأخلاق:

"إذا كان ولا بد كما هو الحال بالنسبة لواقعنا والأمة في مواجهة صريحة مع اليهود والنصارى، مع أمريكا وإسرائيل ونحن في زمنٍ التضليل فيه بلغ ذروته في أساليبه الماكرة، في وسائله الخبيثة، في خداعه الشديد، فإن المواجهة تتطلب جندًا يكونون على مستوى عالٍ من الوعي."

٤ـ دور المتخاذلين في انتصار الظالمين وتمكنهم في كل عصر

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه – في الدرس الأول من دعاء مكارم الأخلاق:

"أتظنون أن انتصار الدولة الأموية، وتمكنها لتقهر الآخرين، ثم تمكنها لأن تصنع أمة أخرى غير الأمة التي أراد محمد ‹صلوات الله عليه وعلى آله› أن يبنيها من ذلك الزمان إلى الآن، أنه فقط قوتهم؟ بل تخاذل من هم يحملون اسم جند الحق، قلة إيمانهم، ضعف إيمانهم، ضعف وعيهم. لماذا انتهت معركة صفين دون هزيمة لمعاوية، وقد كانت مؤشرات الهزيمة بدأت؟ عندما تخاذل أولئك الجنود من صف الإمام علي وتحت رايته.

لماذا وقد تحرك الإمام الحسن عليه السلام ليواصل المسيرة، مسيرة والده

الإمام علي عليه السلام فآل الحال إلى أن يقف مقهوراً ويأخذ ما يمكن من الشروط لتأمين مجتمع أهل العراق، عندما تخاذل أصحابه، الإمام الحسين عليه السلام آلت القضيةقضيته إلى أن يقتل في كربلاء بسبب ماذا؟. تخاذل أصحابه، التخاذل الذي يصنعه ضعف الإيمان، قلة اليقين، انعدام الوعي.

وكان الإمام علي ‹عليه السلام› يحذِّر، وعندما كان يحذر كان يوجه تحذيره إلى جيشه، إلى أصحابه، وليس إلى أولئك إلى جيش معاوية، يقول لأهل العراق: «**والله إني لأخشى أن يدال هؤلاء القوم منكم لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم**». كان جيش معاوية يجتمعون تحت رايته لكن أصحاب الإمام علي كانوا يتخاذلون ويتثاقلون، والتفرق قائم بينهم، لا يتحركون إلا بعد عناء وتعب شديد وتحريض مستمر. ما الذي جعلهم على هذا النحو؟ هو قلة إيمانهم، ضعف وعيهم."

يقول أيضاً في (ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام):

إن الفساد ينتشر، إن الحق يضيع، إن الباطل يحكم ليس فقط بجهود أهل الباطل وحدهم بل بقعود أهل الحق. وأعتقد أن هذا نفسه قد يمثل نسبة سبعين في المائة من النتائج السيئة. بدليل أننا نرى: أن الله سبحانه وتعالى لم ينظر حتى إلينا بمنظار خمسين في المائة وخمسين في المائة من جانب الأشرار فنكون أمامه على صعيد واحد، بل نراه يسلط أولئك على هؤلاء، ماذا يعني ذلك؟ أن التقصير من جانب أهل الحق، من جانب هذه الأمة، من جانب من هم في واقعهم يمثلون جنود الله أن التقصير من جانبهم هو عامل مهم، وهو العامل الأكبر في سيادة الباطل، في استحكام الضلال، في انتشار الباطل، في ضياع الحق.

من يفكر هذا التفكير هو علي في هذه الكلمة عندما قال لأهل العراق: «**لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم**».

لو لم نخرج من هذا الاجتماع إلا بأن نحمل هذه الرؤية لكان مكسباً كبيراً، أن نعرف من علي في هذه الليلة ولو هذه الرؤية: أننا نمثل في قعودنا، في سكوتنا، في صمتنا، في إهمالنا، في حالة اللامبالاة التي نعيشها نمثل سبعين في المائة من عوامل سيادة الباطل وضياع الحق، من عوامل ظلمنا وقهرنا وإذلالنا لأنفسنا نحن.

٥ـ خطورة عدم تقدير القادة العظماء

من الدروس المهمة التي يجب أن نستفيدها هي ضرورة أن يذوب الناس في اتباعهم للقيادة من أعلام الهدى ونعرف كذلك كيف هي حقيقة التولي لهم والوعي بها وخطورة جهل الناس بهذه المسألة وما يترتب على الجهل بها من كوارث للأمة فخير شاهد على ذلك ما ارتكبه الخوارج من جناية على الأمة إلى اليوم بسبب جهلهم بمسألة الولاية وعدم تقديرهم للإمام علي عليه السلام.

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه – في مكارم الأخلاق الدرس الأول:

"هكذا يعمل الناس الذين وعيهم قليل، من لا يعرفون الرجال، من لا يقدرون القادة المهمين؛ لأني أنا آمن جانب علي لا أخاف أن يقتلني على التهمة أو الظنة كما كان يعمل معاوية، لا أخاف أن يدبر لي اغتيالًا، لا أخاف أن يصنع لي مشاكل، لا أخاف أن يوجد لي خصومًا يصنعهم من هنا أو من هنا فكانوا يأمنون جانبه.

وفعلًا من الذي سيخاف من الإمام علي أن يمكر به، أو يخدعه، أو يضره، أو يؤلب عليه خصومًا من هنا وهناك.. الناس الذين وعيهم قاصر، إيمانهم ضعيف هم الذين يعيشون حالة كهذه، كلام كثير وتحدٍّ وتحليلات وتثاقل وتثبيط، وهم في ظل شخص عظيم كعلي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لأنهم يأمنونه.

انظر إلى شخص ذلك القائد العظيم، سترى نفسك آمنًا في ظله، إذًا هو الشخص الذي يجب أن أكون وفيًا معه، إن حالة الشعور نحوه بأنني آمن جانبه يعني أنه رجل عدل، رجل إيمان، رجل حكمة، فهذا هو الذي يجب أن أفي معه أن أقف بجانبه وأن أضحي تحت رايته بنفسي ومالي، هي الحالة التي لا يحصل عليها أتباع الطواغيت حتى أبناؤهم، حتى أسرهم، حتى أقرب المقربين إليهم لا يحصلون على هذه الحالة؛ لأنه يعرف ربما ابنه يخدعه،يمكر به ويأخذ السلطة، ربما قائده ذلك العظيم يخدعه ويمكر به ويأخذ السلطة، فهو يخطط له في الوقت الذي هو ينفذ مهامه، القائد يخاف، وهو يخاف، المستشار خائف منه، وهو خائف من مستشاره، هكذا، ومن يعرف الدول هكذا يكون حالهم.

الدول الطاغوتية هكذا يكون حال الناس فيها، وهكذا يخاف الناس حتى وهم يعملون لله. أليس هذا هو ما يحصل؟ في البلاد الإسلامية على طولها وعرضها،

من هو ذلك المؤمن الذي يقول كلمة حق وهو لا يخاف، يخاف أولئك الذين هم من كان يجب أن يصدعوا بالحق، وأن يعلوا رأس هذه الأمة، وأن يرفعوا رايتها؟! لكن هكذا يصنع ضعف الإيمان. فمتى ما جاء لأهل العراق كصدام كالحجاج انقادوا وخضعوا وتجاوبوا وخرجوا بنصف كلمة، نصف كلمة يصدرها فيتجاوبون سريعًا!."

٦. معاناة الإمام علي مع أهل العراق وسببها

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه -:

"الإمام علي (عليه السلام) كان يقول لأهل العراق: «**قاتلكم الله يا أهل العراق لقد ملأتم صدري قيحًا**» وكان يوبخهم «**يا أشباه الرجال ولا رجال**» يوبخهم، لا يخرجون، ولا يتحركون، إلا بعد الخُطَب البليغة، والكلمات الجزلة، والكلمات المعاتبة، والكلمات الموبخة، والكلمات المتوعدة بسخط الله، والمتوعدة بسوء العاقبة في الدنيا حتى يخرجوا، فإذا ما خرجوا خرجوا متثاقلين؛ لأنهم كانوا يأمنون جانبه.

هل هذا هو السلوك الصحيح لأمة يقودها مثل علي؟! ثم إذا ما قادها مثل الحجاج ومثل يزيد ومثل صدام تنقاد ويكفيها نصف كلمة!. ما هذا إلا ضعف الإيمان، ضعف الوعي، عدم البصيرة.

في ذلك الوقت الذي كانت تثير تلك الحالة دهشة القليل من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، الذين كانوا يعرفون عظمة ذلك الرجل، ثم يندهشون وهم ينظرون إلى تلك المجاميع الكثيرة الشقاق والنفاق والتثبط والتراخي والكلمة المفسدة المثبطة من أطرف منافق فيهم تحطمهم وتجعلهم يتقاعدون، كان هناك مجموعة لكنها كانت قليلة.

وهل أن الإمام عليًا (عليه السلام) لم يكن يعمل على أن يصنع لدى الآخرين بصيرة، بل كانت خُطَبُه خُطَبًا مهمةً جدًّا، خُطَبًا مهمةً جدًّا قادرة على أن تحول الرجال إلى كتل من الحديد؛ لكنهم أولئك الذين كانوا لا يفتحون آذانهم."

هذه هي مشكلة الناس في كل عصر

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

"هذه هي مشكلة الناس، مشكلة الناس في كل زمان، في أيام رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، في أيام الإمام علي ‹عليه السلام›، في كل زمان، الذين لا يفتحون آذانهم لا يمكن أن يؤثر فيهم أي شيء، هم الذين يعجزون القرآن، ويعجزون محمدًا، ويعجزون عليًّا، ويعجزون كل أولياء الله، يجعلونهم عاجزين أمامهم، الذين لا يفتحون آذانهم، أو يفتحونها فترة ثم يضعون لأنفسهم خطًّا معيَّنًا ويرون بأنهم قد اكتفوا، هؤلاء هم من تكثر جنايتهم على الأمة، وعلى الدين جيلًا بعد جيل."[1]

٧ ـ أن نعرف حالة اللامبالاة وأثرها السيئ

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

الجرائم ليست في العادة هي نتيجة عمل طرف واحد فقط، المجرمون من جهة، المضلون من جهة يجنون، والمفرِّطون والمقصرون والمتوانون واللامبالون هم أيضًا يجنون من طرف آخر.

فالجريمة مشتركة، الجريمة مشتركة من أول يوم حصل الانحراف بمسيرة هذه الأمة عن هدي القرآن، وهدي رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، وكيف يمكن أن يسمع الناس منطق الحق ثم نراهم في يوم من الأيام يقفون في وجه الحق، في صف الباطل، هذا هو الذي حصل بالنسبة لأهل العراق.

معاوية أضل أهل الشام فكانوا قاعدة لإمارته وخلافته، وقاعدة لخلافة ابنه يزيد، وكانوا جيشًا قويًا يتحركون لتنفيذ أهدافه، وأهل العراق من جانب آخر. ما الذي حصل؟. ألم يعش علي ‹عليه السلام› بينهم سنين خلافته ماعدا الأيام الأولى منها كانت في العراق.. وعلي ببلاغته.. علي بمنطقه.. علي بحجته.. علي بمعرفته وعلمه الواسع (باب مدينة العلم) هو من كان دائمًا يتحدث مع أهل العراق، من كان دائمًا يوجه ويتحدث ويرشد ويعلِّم ويحذِّر وينذر من عواقب الأمور.

---

(١) مكارم الأخلاق، الدرس الأول.

فلماذا رأينا أهل العراق يقفون هم قبل أهل الشام في صف يزيد في مواجهة الحسين نفسه؟! إنه التفريط، ليس فقط التفريط أمام الحدث، بل التفريط يوم نسمع التوجيهات فلا تعطيها أهميتها. أن تحصل حادثة معينة، فتتقاعس، تقاعسك، قعودك، إنما هو نتيجة لتفريطك الأول يوم كنت تسمع توجيهات علي، يوم كنت تسمع إنذار علي، يوم كنت تسمع الحِكَمَ تتساقط من فم علي كالدرر، فتنظر إليها و كأنها بَعَر، لا تهتم بها.

التفريط إنما هذا منبعه: يوم أن يسمع الناس الكلام، ويسمعون التوجيهات ويسمعون منطق الحق ثم لا يهتمون ولا يبالون، ولا يعطون كل قضية ما تستحقه من الأهمية...

ذلك التفريط هو الذي جعل أهل العراق قبل أهل الشام يصلون إلى كربلاء فيحاصرون الحسين ‹عليه السلام› وأهل بيته، وجعلهم قبل أهل الشام يوجهون النبال إلى صدره، وهم من عاش بينهم علي ‹عليه السلام› سنين يحدثهم ويعظهم ويرشدهم؛ لماذا؟ ما الذي أوصلهم إلى هذا الحد؟.

هم فرطوا، وعندما يفرط الإنسان فيما يسمع ستأتي البدائل المغلوطة، إما أن يتلقاها من أمثاله ممن يفهمون الأمور فهمًا مغلوطًا، ممن لا يعرفون عواقب الأمور،.أو من جهة نفسه هو فيكون هو من يحلل، ومن يحاول أن يضع لكل قضية حدًا معينًا، يظن أنها لا تتجاوزه.[1]

٨. كيف تحولت الساحة الإسلامية إلى ساحة تقتل العظماء؟

عندما تتحول الساحة الإسلامية إلى ساحة ليس فقط لا تقبل العظماء وإنما تحولت إلى ساحة تقتل العظماء إن هذا يدل على ماذا؟ يدل على انحراف عن الخط السوي، عن الصراط المستقيم؛ لأن من المعلوم أن دعوة رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، أن رسالته، أن تربيته، أن منهجيته كانت بالشكل الذي تخلق ساحة للعظماء، تخلق أمنًا للعظماء، تخلق التفافًا تحت رايات العظماء، لا أن يصير الحال إلى أن نرى أولئك العظماء يتساقطون واحدًا تلوَ الآخر داخل هذه الساحة. فعليٌّ

(١) دروس من وحي عاشوراء.

يسقط شهيدًا، والحسن بعده يسقط شهيدًا، والحسين بعده يسقط شهيدًا، وزيد بعده يسقط شهيدًا وهكذا واحدًا تلوَ الآخر!.

ما الذي حصل؟! إن لم يكن في هذا ما يدل على أنه وقع انحراف خطير فلا أدري ما هو الشيء الذي يمكن أن يدل بعد هذا.

الذي يتأمل كتاب الله يجده يأمر الأمة، يأمر المسلمين أن يكونوا مع الصادقين، فلماذا أصبح الصادقون يتساقطون واحدًا تلو الآخر؟! ولماذا أصبحت تلك الأمة التي خُوطِبَت بأن تكون مع الصادقين تعتدي على هؤلاء، وفي نفس الوقت التفوا مع الكاذبين!. يسقط عليٌّ شهيدًا وتلتف الأمة بعده - رغبة ورهبة - تحت راية معاوية، وفي صف معاوية!.

هل كان ذلك وليد تلك اللحظة؟ وليد ذلك الشهر الذي سقط فيه الإمام علي ‹صلوات الله عليه› شهيدًا؟. لا. إنه الانحراف الذي بدأ، والذي يرى البعض بل ربما الكثير يرون في تلك البداية وكأنها بداية لا تشكل أيّة خطورة، لكن شاعرًا كـ(الهَبَل) مرهف الحس، عالي الوَعي، راسخ الإيمان، يمتلك قدرة على استقراء الأحداث، وتسلسل تبعاتها، يقول في كلمة صريحة في بيت صريح:

وَكُلُّ مُصابٍ نَالَ آلَ محمدٍ فليسَ سوى يومِ السَّقِيفَةِ جَالِبُهْ

عندما نرى الإمام عليًا ‹صلوات الله عليه› يسقط شهيدًا لا يكفي أن نحزن، لا يكفي أن نبكي، لا يكفي أن نتألم، بل لا بد أن نأخذ العبرة، أن نتساءل: لماذا نرى الصادقين يسقطون شهداء داخل هذه الأمة؟! ولماذا رأينا فيما بعد وعلى امتداد التاريخ الكاذبين الظالمين الطغاة، المحرفين للدين، المنتهكين لحرمات الله هم من يحكمون هذه الأمة؟! وباسم رسالة هذه الأمة (الإسلام)! وباسم نبي هذه الأمة (أمير المؤمنين، خليفة رسول رب العالمين) وعناوين من هذه؟!.

سنظل نحزن نحن وغيرنا، ونظل نبكي نحن وغيرنا ما لم تكن نظرتنا إلى الأحداث على هذا النحو، وسنظل نشاهد الأحداث المريرة، ونتألم لحادث بعينه، للفترة التي هو فيها، دون أن نأخذ العبر، دون أن نأخذ الدروس، إن هذا يعتبر خللًا كبيرًا.[1]

(١) ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.

٩ ـ أن نعرف أهمية الحفاظ على الوضع الداخلي

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي وهو يتحدث عن أهمية الوضع الداخلي:

«قضية العدو قضية محسومة إذا كان الواقع الداخلي سليمًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥] الواقع الداخلي هو الأساس هو الحاسم هو المهم جدًا إذا كان صالحًا إذا كان سليمًا إذا كانت المسؤوليات الجهادية تُؤَدَّى بالشكل المطلوب فواقعُ العدوِّ واقعٌ منته.

على مر التاريخ كله كانت المسيرة الجهادية مع كل أهل البيت (عليهم السلام) في الماضي بدءًا من الإمام علي (عليه السلام) من بعد وفاة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وما حصل من اختلالات ومن هزائم في واقع أصحابه وجيوشه ومجتمعه، ثم ما حصل في فترة الإمام الحسن (عليه السلام) وما حصل في فترة الإمام زيد (عليه السلام) كان العامل الأخطر هو الخلل الداخلي.

ليست قوة العدو وإمكانيات العدو هي العامل الحاسم، بل كان العامل الحاسم والعامل الرئيسي والعامل الأساسي هو الوضع الداخلي، الاختلال في الواقع الداخلي لدى الأمة التي تعتبر نفسها هي الأمة المؤمنة، الأمة المجاهدة، الأمة الموالية للثقلين.

هذا الواقع هو العامل الأساسي في الاختلالات داخله نتيجة قلة الإيمان والقصور في الوعي واللامسؤولية والإهمال والتقصير والتهاون هذا كان هو العامل الحاسم في تغلب أهل الباطل وهيمنتهم على مر التاريخ بما يترتب على ذلك من آثار سيئة في واقع الحياة كلها.»

لماذا يقول البعض إن ذكرى استشهاد الإمام علي بدعة؟!

من يقولون: إن إحياء ذكرى استشهاد الإمام علي بدعة، هم من يريدون أن تموت الأمة باسم الدين، وأن تذبح باسم الإسلام، هم من يعملون على تفريغ هذه الأمة من هويتها الدينية وفصلها عن رموزها الدينيين والحقيقيين وإبعادها عن

أعلامها العظماء من يشرفها أن تنتمي إليهم ومن تجد في حياتها كل ما تحتاجه من الدروس التي تفيدها في حياتها.[١]

الإمام علي ‹عليه السلام› سيظل قدوة للمستبصرين

الإمام علي ‹عليه السلام› هكذا كان وهكذا يبقى نورًا في مشرق الشمس قدوة للمستبصرين ونورًا للحائرين وعلمًا يقتدى ويتأسى به في مدرسة الإسلام الكبرى ويمثل النموذج الحقيقي والقدوة للرموز الحقيقيين؛ لأننا أيها الإخوة والأخوات: في هذا العصر نشهد كيف تتحرك مخابرات العدو، المخابرات الأمريكية لتصنع رموزًا وهميين في الساحة الإسلامية يبرزون وهم يتمسكون ببعض من قشور الإسلام وشكله ثم يبقون هم أو يبرزون هم في الساحة الإسلامية ليستقطبوا الكثير الكثير من قاصري الوعي وناقصي الإيمان ليلتفوا حولهم فيتحركون تحت عناوين دينية ليضربوا الإسلام من داخله ليثيروا المشاكل للأمة الإسلامية من داخلها وعلى مر التاريخ الإسلامي لطالما صُنع الكثير من الرموز الوهميين الزائفين الذين لا يمثلون الإسلام بحقيقته بأخلاقه وكانوا أساطين للظالمين والجبابرة والطغاة والاستبداد وكانوا أنصارًا لخط الاستبداد والظلم في داخل الأمة، هذه وسيلة وهذا أسلوب اعتُمد عليه في السابق ويُعتمد عليه في الحاضر وهذا شيء ملموس.[٢]

لذلك نحن في هذا العصر ونحن نعاني من الظالمين ونحن نعاني من حالة الزيف فقد أردان النبي من خلال الإمام علي أن يوصلنا بالقرآن، ويبقى حبه علامة فارقة يتبين بها المؤمن، وبغضه وصمة عار ينكشف بها المنافق، لو لم يكن لنا من علي إلا هذا، فكيف وهو مثل مسار الإسلام في أصالته ومفاهيمه الصحيحة بعيدًا عن الزيف وبعيدًا عن التحريف.[٣]

---

(١) ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.
(٢) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.
(٣) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٤هـ.

وابن ملجم سيظل أيضًا قدوة للتكفيريين

ثم يبقى لنا نقطة واحدة نؤكد عليها كيف كانت الوسيلة التي اعتمدها من تآمروا على علي ‹عليه السلام› لقتله هي أداة مصنوعة من الأداة التكفيرية (ابن ملجم) واحد من التكفيريين المغفلين الجاهلين بحقيقة الإسلام تبقى هذه النوعية - التكفيريون المغفلون الجاهلون بحقيقة الإسلام - أداة قذرة يُحركها الأعداء ويستغلونها لضرب الخط الإسلامي الأصيل من الداخل، وهذا ملموس أيضًا؛ ألا نرى كيف يتحرك التكفيريون داخل الأمة ليواجهوا أي تحرك يناهض السياسة الأمريكية؟ هم لا يرون كفر أمريكا ولا كفر إسرائيل وهذا من عجائبهم، لا تصدر قراراتهم وأحكامهم بالكفر إلا داخل هذه الأمة، الكفر الأمريكي، الكفر الإسرائيلي لا يرونه لا يستهدفونه، لا يُصدرون عليه أحكامهم، ثم ينقضون بكل وسائلهم بمفخخاتهم بما إلى ذلك لاستهدافه لأنهم فقط وفقط أداة، أداة بيد الأعداء، عين الكفر عندهم هو مناهضة السياسة الأمريكية والإسرائيلية وبهذا يتحركون لاستهداف القوى التي تواجه الكفر الحقيقي والخطر الحقيقي على الأمة الإسلامية.[1]

الاقتداء بأهل البيت فخر لنا

وأخيرًا نقول ما قاله الشهيد القائد السيد حسين رضوان الله عليه: "إن من الفخر لنا أن قدواتنا من أهل البيت بدءًا من علي، وليسوا من أولئك الملطخين بعار المخالفة للرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› الملطخين بالأخطاء والمساوئ، والمواقف السيئة، فنحن نتعب أنفسنا في الدفاع عنهم وفي تَنْميق مظهرهم.

قدواتنا من أهل البيت هم من أولئك المنزهين المطهرين الكاملين في أنفسهم، ممن يشرفنا أن نقتدي بهم. فأنت لا تخجل إذا ما قلت أن وليّك علي بن أبي طالب، عد إلى علي فتعرّف على علي تجد أنه بالشكل الذي يشرفك، بالشكل الذي يجعلك تفتخر بأنه إمامك، بأنك تتولاه.

ولهذه القضية أهميتها في السمو بالنفس وارتقائها حتى على مستوى القدوات

(١) من محاضرة السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› لعام ١٤٣٣هـ.

من البشر. ولكن انظر إلى الآخرين كيف يتعبون أنفسهم وهم دائمًا يدافعون عمن يتولونهم، يحرِّفون معاني القرآن من أجلهم، يحرفون معاني كلام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من أجلهم، يعملون على أن يحولوا سيئاتهم إلى حسنات، يعملون على أن يقدموهم للأمة كأعلام. ولكن يكفينا شهادة على أنهم ليسوا ممن يمكن أن نفخر بهم إذا ما انتمينا إليهم أننا نجدكم أنتم تتعبون أنفسكم وأنتم تغطّون على خطيئاتهم، وعلى قصورهم ونقصهم." [1]

اللهم إنا نتولاك ونتولى رسولك ونتولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ونتولى من أمرتنا بتوليهم.

❊❊❊

(١) معرفة الله، الدرس السابع.

المحتويات

المقدمة ٢

الـــولادة والنشـــأة ٤
من الكعبة أبصر النور ٤
الإعداد النبوي ٤
علي أول من أسلم ٦
وأنذر عشيرتك الأقربين ٧

بعض مميزات الإمام علي ‹عليه السلام› ١٠
علي يتربى في مدرسة الرسول ١٠
كان تلميذاً متميزًا ١١
الإسهام الكبير للإمام علي في إقامة الدين ١٢
أبو ثابت يدخل على أم سلمة ١٢
عمار يستأذن على الرسول ١٣
الإمام علي كان هو التلميذ الأكثر استيعاباً ١٣
القرآن الكريم يبين مستوى مقام الإمام علي (عليه السلام) ١٤
تميزه في جهاده ١٧
أول فدائي في الإسلام ١٧
معركة بدر ١٨
معركة أحد ١٨
بطل الخندق ١٩
فاتح خيبر ٢٠
درس مهم نستفيده من خيبر ٢١
وفي تبوك ٢٢
حادثة المباهلة ٢٥
إعلان البراءة من المشركين ٢٨
مبدئية الإمام علي ‹عليه السلام› ٢٩
مبدئية الإمام علي مع خصومه ٣٠
- مع عمرو بن العاص ٣٠
- مع طلحة والزبير ٣٠
- مع معاوية بن أبي سفيان ٣١
- مع عائشة ٣١
من وصايا الإمام المهمة ٣٢
سرُّ قوة الإمام علي (عليه السلام) ٣٣
باب مدينة علم الرسول ٣٤
العطاء المعرفي للإمام ٣٥
من روائع الإمام ٣٦
من وصيته لابنه الحسن في صفين: ٣٧
تميزه في الرحمة والإحسان ٣٨
تميزه في عبادته ٣٩
تميزه في عدله ٤٠

أمير المؤمنين يجسد العدل قولا وعملا ٤٤

مكانته العظيمة وبعض ما ورد فيه ٤٧

الامتداد الحقيقي للإسلام..... ٤٧
علي هو الشاهد لعظمة رسول الله ودينه ٤٨
ما هي شهادة علي للرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله›؟..... ٤٨
الإمام علي القائد والقدوة ٥٠
بعض ما ورد في أهل البيت وفي مقدمتهم الإمام علي ‹عليه السلام› ٥١
ما هي دلالات هذه الأحاديث؟ ٥٤
حديث الراية ٥٥
حديث (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) ٥٥
إعلان ولاية الإمام علي (عليه السلام) ٥٧
حجة الوداع ٥٧
في طريق العودة من حجة الوداع..... ٥٨

بوادر التراجع ٦٤

وما تركه ذلك من آثار سيئة على الأمة إلى اليوم ٦٤
جيش أسامة..... ٦٤
النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في آخر أيامه لا يزال حريصًا على هداية الأمة..... ٦٥
اللحظات الأخيرة ٦٨
ومن السقيفة يبدأ الانحدار..... ٦٨
الحوار داخل السقيفة ٦٩
هول المفاجئة بما حدث في السقيفة..... ٧١
موقف الإمام علي والزهراء مما حصل ٧١
معاناة الإمام علي عليه السلام..... ٧٢
وتستمر معاناة الإمام ٧٣
بيعة أبي بكر كانت فلتة..... ٧٥
الأنصار كانوا أول من دفع ثمن التفريط..... ٧٦
فاطمة الزهراء تلحق بأبيها..... ٧٧
ابن عباس في حواره مع عمر ٧٨

خلاصة المشهد ٨١

خلاصة المشهد بعد موت النبي ‹صلوت الله عليه وآله وسلم›..... ٨١
الإمام يوضح حقيقة ما حصل ٨١
حال الأمة التي قادها الإمام علي ‹عليه السلام›..... ٨٥
واقعة الجمل..... ٨٦
الفئة الباغية ٨٩
وقعة صفين ٩١
وقبيل المعركة رجل يطلب مقابلة الإمام ٩٥

مواقف عظماء الصحابة..... ٩٨

أبو أيوب الأنصاري..... ٩٨
أبو سعيد الخدري..... ٩٩
عبدالله بن مسعود..... ٩٩
عمار بن ياسر..... ٩٩

من مواقف عمار ١٠٠
حذيفة بن اليمان رضوان الله عليه ١٠٣
عدد البدريين الذين شهدوا صفين في صف الإمام علي عليه السلام ١٠٣
مؤامرة رفع المصاحف ١٠٤
تمرد الخوارج ١٠٤
الإمام علي (عليه السلام) بذل كل جهوده ١٠٦
نهاية الرحلة ١٠٨
لولا مواقف علي لما وصل إلينا الإسلام بنقاوته ١٠٨
ذكرى حزينة ١٠٩
لماذا سمي قاتل علي بأشقى الأمة؟ ١٠٩
أفي سلامة من ديني ؟ ١١٠
فزت ورب الكعبة ١١٤
الإمام علي ‹عليه السلام› يقدم وصيته الأخيرة ١١٦
الإمام الحسن يودع والده ١١٧

لماذا استهدف الإمام علي ‹عليه السلام› ١١٨

وما هي الدروس والعبر؟ ١١٨
استهداف الإمام علي هو استهداف للإسلام ١١٨
استشهاد الإمام علي مثل ضربة كبيرة للمسلمين ١٢٢
سيرة الإمام علي بما تحمله من الدروس تواكب الناس في كل مراحل حياتهم ١٢٣
دروس وعبر ١٢٤
١ـ كيف نقرأ ما حدث من مآس لأهل البيت عبر التاريخ ١٢٤
٢ـ خطورة القصور في الإيمان والوعي ١٢٥
٣ـ ماذا تتطلب المواجهة مع أمريكا وإسرائيل في هذه المرحلة؟ ١٢٦
٤ـ دور المتخاذلين في انتصار الظالمين وتمكنهم في كل عصر ١٢٦
٥ـ خطورة عدم تقدير القادة العظماء ١٢٨
٦ـ معاناة الإمام علي مع أهل العراق وسببها ١٢٩
هذه هي مشكلة الناس في كل عصر ١٣٠
٧ـ أن نعرف حالة اللامبالاة وأثرها السيئ ١٣٠
٨ـ كيف تحولت الساحة الإسلامية إلى ساحة تقتل العظماء؟ ١٣١
٩ـ أن نعرف أهمية الحفاظ على الوضع الداخلي ١٣٣
لماذا يقول البعض إن ذكرى استشهاد الإمام علي بدعة؟! ١٣٣
الإمام علي ‹عليه السلام› سيظل قدوة للمستبصرين ١٣٤
وابن ملجم سيظل أيضًا قدوة للتكفيريين ١٣٥
الاقتداء بأهل البيت فخر لنا ١٣٥

❋❋❋

تم بحمد الله